المنهج النقدي عند إمام الحرمين
أحمد بن زيني دحلان

د.إبـراهيم محمد رشاد إبـراهيم

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد
ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى
ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية كلية دار العلوم جامعة أسوان

المقدمة

تعد قضية النقد من أهم القضايا الفلسفية التي اهتم بها مفكرو الإسلام، وكان من هؤلاء الشيخ أحمد بن زيني دحلان إمام الحرمين(**ولد عام ١٢٣١هـ**)، حيث كان غزير العلم، وافر المعرفة خلف تراثًا في شتى فروع المعرفة الشرعيّة والعقدية والتّاريخية منها: أسمى المطالب في نجاة أبي طالب، والفتوحات الإسلاميّة، والسِّيرة النَّبوية، وتاريخ أمراء بلد الله الحرام، والدُرر السُنية في الرد على الوهّابية، ورسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، وتنبيه الغافلين مختصر منهاج العابدين للإمام الغزالي، ولقد توفي في المدينة المنورة (**سنة١٣٠٤هـ**) .

ومن أهم مؤلفاته التي تحدد ملامح منهجه النقدي، رسالتيه في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، والدرر السنية في الرد على الوهّابية، حيث تحتوي الأولى على موقفه النقدي من الشيعة وآرائهم في بعض المشكلات، مثل موقفهم من الإمامة والصحابة والتقية، والرسالة الثانية وهي الدرر السنية في الرد على الوهّابية، تحتوي على موقفة النقدي من بعض الآراء التي ذهبت إليها الوهابية مثل الشفاعة والتوسل وزيارة الرسول(ﷺ) .

ولقد تعرضت الوهابية منذ ظهور حركتها للنقد من قبل كثير من علماء الُسنة، فكثرت المؤلفات التي صنفت ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب(**ولد عام ١١١٥هـ**)،حيث اعتبره البعض أحد العلماء المجددين، بل عدّه كثير من العلماء من القادة المصلحين في القرن الثاني عشر الهجري، ومن الذين وجهوا سهام النقد إليه الشيخ أحمد بن الزيني دحلان إمام الحرمين.

فإذا كان الإمام محمد بن عبد الوهاب قد وجه نقده لبعض التيارات الصوفية السائدة في عصره، كذلك قد وجه الشيعة انتقاداتهم لأصول العقيدة، فإن الإمام أحمد بن زيني دحلان جاء ووجه نقده لهما، فكان نقده بمثابة نقد النقد وهذا هو الإبداع.

ونحاول في هذا البحث توضيح هذه الانتقادات من جانب الإمام دحلان سواء من الشيعة وآرائهم، أم من الوهابية، وتوضيح ما إذا كان نقده للوهابية وشيخها محمد بن عبد الوهاب توجهًا صحيحًا أم لا؟ أم أنه مجرد افتراء على الرجل من رجل سني؟ كما أنني أتساءل هل كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدًا عن النقد؟ وهل كان صائبًا في كل آرائه، بحيث لا يمكن توجيه النقد له؟ نحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال منهج تحليلي نقدي.

أولاً: التعريف بالإمام أحمد بن الزيني دحلان

هو أحمد بن زيني دحلان الحسني(١٢٣١هـ/ ١٨١٦م ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) إمام الحرمين، ومفتي وفقيه الشافعية في عصره أواخر الدولة العثمانية، ألف عن الوهّابية، وانتقد بعض نواحي المذهب[١]، وهو أحد أئمة السلفية[٢].

ولد في مكة المكرمة سنة١٢٣١هـ الموافق١٨١٦م، ونشأ وتربى فيها، وعرف عن بيته بمكة المكرمة أنه بيت علم ودين ومعرفة، أما عن نسبه، فهو أحمد بن زيني بن أحمد بن عثمان بن نعمة الله بن عبد الرَّحمن بن محمّد بن عبد الله بن عثمان بن عطايا بن فارس بن مصطفى بن محمّد بن أحمد بن الزيني بن قادر بن عبد الوهّاب بن محمّد بن عبد الرّزاق بن أحمد بن أحمد بن محمّد بن زكريّا بن يحيى بن محمّد بن عبد القادر الجيلاني[٣]، فقد كرّس حياته كلّها للعلم والتأليف، ودرس وتخرج على يديه معظم علماء الحجاز في عصره، وأخذوا منه[٤]، كماعرف بنقده الشديد للوهابية وانحيازه إلى جانب أقاربه من أشراف مكة، وكان مفتيًا للشافعية ميالًا إلى التصوف.

ولقد تتلمذ على يد كثير من علماء المسجد الحرام، كمفتي الشافعية بمكة الشيخ محمد سعيد قدس، وشيخ العلماء الشيخ عبد الله سراج الحنفي، والسيد أحمد المرزوقي مفتي المالكية بمكة، والشيخ يوسف الصاوي المصري المالكي، والشيخ بشرى الجبرتي،كما لازم الشيخ عثمان الدمياطي ملازمة تامة، وأخذ عنه كثيرًا من العلوم، وعلى يديه تخرج، وتولى الإفتاء والتدريس بمكة[٥].

---

(١) الشيخ السيد بكري الشطا: نفحة الرحمن في مناقب الشيخ دحلان، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، د. ت، ص٢٠ وعرفه الكتاني بأنه أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي، انظر محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، ج١، ص٣٩٠

(٢) عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي المتوفى عام ١٢٣١هـ: حلية البشر في علماء القرن الثالث عشر، تحقيق حفيده محمد بهجة البيطار، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ج١، ص١٨١ انظر أيضًا: رضا بن محمد صفي الدين السنوسي: دور علماء مكة المكرمة في خدمة السنة والسيرة النبوية، مجلد ١، ص٣١.

(٣) أحمد دحلان: شرح دحلان على الأجرومية، تحقيق كريم إبراهيم بن أحمد، مكتبة بن عباس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص١٢.

(٤) د. جمال الدين فالح الكيلاني : الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، مؤسسة مصر، بغداد ٢٠١١م، ص٢٣، وذكر ذلك عمر رضا كحالة الدمشقي : في كتابه معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، د. ت، ص٢٢٩.

(٥) عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي : أعلام المكيين، ج١، ص٥٩.

ألّف أحمد بن زيني دحلان كتبًا كثيرةً في شتى فروع المعرفة الشرعيّة والبيانية والنحويّة والتّاريخية منها: أسمى المطالب في نجاة أبي طالب، وترجمه مقبول أحمد الدهلوي إلى اللغة الأورديَّة[١]، والفتوحات الإسلاميّة بعد الفتوحات النَّبويّة[٢]، والسِّيرة النَّبوية[٣] والفتح المبين في سيرة الخلفاء الراشدين، وتاريخ الأندلس، وتاريخ أمراء بلد الله الحرام[٤] وتيسير الأصول لتسهيل، الوصول وفضائل العلم، ومنهل العطشان على فتح الرَّحمن، والدرر السنية في الرد على الوهّابية[٥] ذكرها الزركلي باسم "رسالة في الرد على الوهّابية"[٦]، وقد ترجمها إبراهيم وحيد الدمغاني إلى الفارسية بعنوان سر گذت وهّابيت[٧] فضائل الجمعة والجماعات، بيان المقامات وكيفيّة السلوك، شرح على الألفية، الأنوار السّنيّة بفضائل ذرِّيَّة خير البريَّة، النَّصائح الإيمانية للأمة المحمَّدية، تاريخ الدُّول الإسلامية بالجداول المرضية، طبقات العلماء، متن الشاطبية الجامع بكلّ المرام في القراءات، متن الألفيّة، تنبيه الغافلين مختصر منهاج العابدين للإمام الغزالي[٨]، تلخيص الإصابة في معرفة الصَّحابة، حاشية على الزّبد لابن رسلان، فتح الجواد المنّان بشرح فيض الرَّحمن، رسالة في البسملة، رسالة الشُّكر للإمام الغزالي، رسالة في البعث والنّشور، ورسالة في النحو، وإرشاد العباد في فضائل الجهاد[٩] وشرح الأجرومية[١٠]، وله رسالة صغيرة عنوانها "في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم"[١١]، ولقد توفي في المدينة المنورة **(سنة١٣٠٤هـ)**، ودفن فيها[١٢].

---

(١) آغا بزرگ الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٤، ص٧٨

(٢) الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة الحسينية بمصر، ١٣٠٢هـ

(٣) ولقد طبعت السيرة النبوية والآثار المحمدية، دار إحياء التراث العربي، ٢مجلد،الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٤) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، المطبعة الخيرية بمصر، القاهرة، ١٣٠٥هـ، وطبعة الدار المتحدة للنشر، بيروت لبنان، ١٤٠١هـ ١٩٨١م

(٥) الدرر السنية في الرد على الوهابية، اعتنى بنشره د. جبريل حداد، دار غار حراء مكتبة الأحباب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

(٦) خير الدين الزركلي : الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١، ص١٣٠

(٧) عبد الله محمد علي : معجم المؤلفات الإسلامية في الرد على الفرقة الوهّابية، ص٢٤١

(٨) تنبيه الغافلين مختصر منهاج العابدين، وهو مطبوع في الدار المصرية للكتاب، د . ت

(٩) ولقد طبعت في مجموع خمس رسائل وتشمل(رسالة عن متن السمرقندية، ورسالة في الاستعارات، ورسالة متعلقة بحاء زيد، ورسالة في النحو، ورسالة مقولات العلم) طبعة دار إحياء الكتب العربية، المكتبة الأزهرية للتراث سنة١٩٩٩م

(١٠) شرح متن الآجرمية في علم اللغة العربية، مؤسسة الكتب الثقافية، مصر، ١٩٩٥م وطبعت أيضًا تحت مسمى الأزهار الزينية في شرح متن الألفية، المطبعة الأميرية، مكة، ١٣١٠هـ، وقام بتحقيقها كريم إبراهيم بن أحمد، مكتبة بن عباس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م

(١١) رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ضمن كتاب الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية للعلامة الشيخ عبد الله أفندي البغدادي، مطبوع بمطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٠٤هـ

(١٢)عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي : أعلام المكيين، ج١، ص٥٩

تولى الشيخ دحلان الإفتاء والتدريس في عصره، ونشأ في عهده أول مطبعة في مكة المكرمة، فتولاها هو وطبع فيها العديد من مؤلفاته، وأخذ على نفسه تربية المريدين وتعليمهم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، حتى انتقل إلى تعليم أهل البراري من أرض الحجاز والشام، واليمن وصار يذهب بنفسه إليهم، ويتردد عليهم، ويرسل إليهم من يعلّمهم[١].

ومن أساتذته الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري الشافعي الدمشقي(ت ١٢٦٢هـ) والشيخ حسين بن محمد حسين الحبشي الباعلوي مفتي الشافعية(١٢٥٨هـ – ١٣٣٠هـ)، والشيخ حامد بن أحمد بن عبيد العطار الشافعي الأشعري(١١٨٦هـ – ١٢٦٢هـ) [٢] ومن تلاميذه الفقيه، والمحدث أبو بكر بن محمد زين العابدين شطا الشافعي ولد بمكة(١٢٢٦هـ – ١٣١٠هـ) ومفتي الشافعية بمكة الشيخ حسين بن محمد بن حسين بن عبد الله الحبشي، ولد باليمن(سنة ١٢٥٨هـ) وتوفي بمكة(سنة ١٣٣٠هـ)والشيخ عبد الحميد بن على بن عبد القادر قدس الملكي الشافعي، ولد بمكة عام (١٢٨٠هـ وتوفي سنة ١٣٣٤ه)[٣].

وهناك كتابان للشيخ دحلان حدد فيهما منهجه النقدي والموضوعات التي ينتقدها، وهما الأول: الدُرر السُنية في الرد على الوهّابية، وينتقد فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والثاني رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، وفيه ينتقد كثير من آراء ومعتقدات الشيعة، فما قيمة الكتابين؟ وهل ما يقوله الشيخ دحلان صحيح أم لا؟

ثانيًا: ملامح المنهج النقدي عند الإمام دحلان

يحدد الإمام دحلان منهجية النقد عنده وأصوله، بأنه لابد أن تكون هناك مرجعية، تمكّننا من الرجوع إليها عند الاختلاف، فإذا كانت المناظرة مثلًا بين حنفي وشافعي في مسألة فقهية، "فإنهما يرجعان إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس، فمن أقام دليله منهما بواحد من هذه، وعجز الآخر كانت الغلبة له"[٤]، وهنا يحدد الإمام معيار الحكم على الآراء بمعيار

---

(١) أحمد دحلان: شرح دحلان على الأجرومية، تحقيق كريم إبراهيم بن أحمد، مكتبة بن عباس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص٦

(٢) الزركلي : الأعلام، ج١، ص١٥

(٣) عبد الحي الكتاني(ت ١٣٨٢هـ): فهرس الفهارس والإثبات، تحقيق إحسان عباس، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، مجلد٢، ص٨٧

(٤) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٣١

الكتاب والسنة والاجماع والقياس، "فإذا لم يكن لهما أصل يرجعان إليه عند الاختلاف، ويكون متفقان عليه عندهما فإنه كما يرى الإمام: "لا تمكن المناظرة بينهما، فإذا كانت المناظرة بين سني وغيره من المبتدعة من أي طائفة كانت، فلا بد أن يتفقا قبل المناظرة على أصل يرجعان إليه عند الاختلاف، فإن كان المبتدع لا يقول بالعمل بكتب أهل السنة، ولا بقول الأئمة الأربعة وغيرهم من المحدثين وغيرهم من أهل السنة، فلا بد من أن السني يجتهد باللطف وحسن السياسة، حتى يلزمه أولًا بالإلزامات العقلية التي تلجئه إلى الإقرار والاعتراف بأصل يكون مرجعًا عند الاختلاف، كالقرآن الكريم"[١].

<u>وإذا كان الأصل الأول</u>: عند إمام الحرمين هو الكتاب والسنة، فإنه مع ذلك لا يترك الاجتهاد العقلي، ولكنه يضعه بعد الرجوع إلى النص ؛ فسلطة النص الديني عنده فوق كل سلطة، وهذا ما نراه واضحًا عند معالجته لأي قضية ؛ إذ إنه يستشهد بالنص الديني، لكي يؤكد توافقه مع ما وصل إليه من العقل، ومثالًا على سلطة النص الديني عنده أثناء المناظرة قوله: "هل تؤمن بأن ما بين دفتي المصحف كلام الله المنزّل على سيدنا محمد، المتعبد بتلاواته، المتحدى بأقصر سورة منه؟ فإن أنكر ذلك، أو شك فيه كفر، فلا يحتاج إلى المناظرة معه، بل تجرى عليه أحكام الكافرين، وكذا إن أعتقد أن في القرآن تغييرًا وتبديلًا ؛ لأنه مكذب لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون**﴾ [٢]، وإذا أقر واعترف وقال: أؤمن بأن ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد المتعبد بتلاواته المتحدى بأقصر سورة منه"[٣]، إذن تتحدد ملامح المنهج النقدي عند الإمام دحلان، في أنه لابد من أن يكون هناك مرجعُ يصح اللجوء إليه حال الاختلاف، وهذا المرجع يتمثل في الكتاب والسنة، ثم في الإجماع والقياس.

ثم يأخذ دحلان في تطبيق هذا المنهج، وذلك في معرض نقده لبعض فرق الشيعة التي تكفّر الصحابة[٤] وذلك: "بأن يتلو علي الشيعي أو يكتب له في ورقة، بعض الآيات التي أنزلها الله تعالى ثناءً على الصحابة، رضي الله عنهم، كقوله تعالى في سورة الأنفال﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥]، وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٢

(٢) سورة الحجر، آية : ٩

(٣) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٣٢

(٤) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٣٣

(٥) سورة الأنفال، آية : ٦٤

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١]، وقوله تعالى في سورة التوبة أيضًا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢]، وقوله تعالى:{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٣]، وقوله تعالى في سورة الفتح أيضًا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[٤]، وقوله تعالى في سورة الحديد: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾[٥]، مع قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[٦]، ويتلو عليه أيضًا قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٧].

هكذا يستطرد الإمام دحلان في ذكر النصوص الدينية في بداية المناظرة بين السني أو السلفي وبين الشيعي، ثم بعد تلاوة هذه الآيات أو كتابتها في صحيفة حتى يقول له السني: "هذه الآيات من القرآن العزيز ،أنزلها الله تعالى مثنيًا بها على أصحاب النبي(ﷺ) وشاهدًا لهم بأنهم صادقون ومخبرًا بأن لهم الجنة، وقد أقررت بأنها آيات الله، فيلزمك ترك الطعن عليهم والقدح فيهم، لأنك إن فعلت ذلك، كنت مكذبًا بما تضمنته هذه الآيات وتكذيب آيات الله كفر[٨] فإن قال: إن هذه الآيات لا تشملهم، يُسأل عمن نزلت فيهم ؛ فإن النبي بعثه الله، فدعا الناس إلى الله تعالى، ومكث فيهم ثلاثًا وعشرين سنة، يتنزل عليه القرآن ويتلوه عليهم، ويعلمهم الأحكام والشرائع، فآمن به خلق كثير، وأنزلت فيهم هذه الآيات، فيها مدحهم والثناء عليهم، وشهد لهم بأنهم صادقون وأن لهم الجنة.

---

(١) سورة التوبة، آية : ٨٨
(٢) سورة التوبة، آية : ١٠٠
(٣) سورة الفتح، آية : ١٨
(٤) سورة الفتح، آية : ٢٩
(٥) سورة الحديد، آية : ١٠
(٦) سورة الأنبياء، آية : ١٠١
(٧) سورة الحشر، آية : ٨
(٨) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٣٤

ويستشهد دحلان بما جاء عن النبي(ﷺ) من أحاديث كثيرة تشهد لهم، وهذه الأحاديث عامة وبعضها خاصة بذكر أسمائهم، فهل هذه الآيات عامة لهم جميعًا أو خاصة ببعضهم؟ فإن قلت إنها خاصة ببعضهم، فهل ذلك البعض ممن هو معلوم أو مجهول؟ وهل هو كثير أو قليل؟ وهل منهم الخلفاء الأربعة وبقية العشرة والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، كأهل بدر، وأحد، وبيعة الرضوان، أم لا ؟ فإن قال إنها عامة للجميع، وجب عليه أن يعتقد نزاهتهم عما يعتقده فيهم، ويؤول كلما وقع بينهم من الاختلاف، ويحمله على الاجتهاد وطلب الحق، وأن المصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر واحد، كما جاء ذلك عن النبي(ﷺ)، وأن يعتقد أنهم لا يجتمعون على ضلال، فإن لم يفعل ذلك كله، كان مكذبًا بالآيات والأحاديث التي جاءت في الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والإخبار بأن لهم الجنة "[1].

إذن الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه عند المناظرة بعد القرآن الكريم هو السنة، وفي هذا يقول دحلان: "لا بد أيضًا قبل المناظرة أن يمهد بين المتناظرين أصل آخر، يكون المرجع إليه عند الاختلاف كالكتاب، والسنة الصحيحة، والإجماع، والقياس، والمراد بالسنة الصحيحة ما صححه أئمة الحديث الثقات المشهورون بين الأمة في مشارق الأرض ومغاربها المشهود لهم بالعلم والمعرفة والإتقان، الذين أفنوا أعمارهم في تحصيل الحديث وتدوينه، ورحلوا في تحصيله إلى مشارق الأرض ومغاربها، وعرفوا الصحيح من الضعيف"[2]. فإذا صارت المناظرة والاستدلال من أحد المتناظرين، فيجب أولًا :

١- ألا يقبل شيئًا من الروايات، ولا من الرواة إلا من حكم الأئمة العارفين بقوله.

٢- وألا تقبل رواية المجهول ولا من حكموا عليه بالضعف وعدم القبول، ولا يقبل في الجرح والتعديل إلا قول الأئمة العارفين، وأما غيرهم ممن لا معرفة له بالحديث، أو لم يذكره أحد من أئمة الحديث، ولم يترجموا له في رجال الحديث، ولم يبينوا أوصافه فإنه كما يذهب دحلان لا يُقبل قوله، ولا روايته، ولا تصحيحه، ولا تضعيفه، ولا جرحه، ولا تعديله.

٣- وإذا حصلت المناظرة بينهما ؛ فيجب على السني فيما يري دحلان أن يكون حريصًا على إقامة البرهان والحجة على خصمه أولًا بالآيات القرآنية، ثم بالأحاديث النبوية الدالة على ذلك أيضًا، ولا يذكر له شيئًا من الأحاديث إلا بعد إلزامه بما تضمنته الآيات القرآنية، فإن البحث مع المبتدعة في الأحاديث قبل إلزامهم بما تضمنته

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٥

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦

الآيات، لا ينتج بفائدة[1]؛ لأن البحث معهم قبل تقرير المرجع عند الاختلاف لا ينتج بفائدة ؛ لأن أدلتهم التي يستدلون بها كلها تمويهات، لا محصول لها عند التحقيق ؛ ولأنه يدرك أن الشيعة لهم أكاذيب واختلاقات ينسبونها إلى سيدنا علي رضي الله عنه، وإلى أهل البيت لا يثبت شيء منها عند التحقيق.

الأصل الثالث: الاجتهاد

وإذا كان الشيعة في إثبات دعواهم يلجأون إلى النص، ويقومون بتأويله، فإن دحلان يشير إلى مسألة هامة، ألا وهي عدم التمسك بظاهر النص، ولابد من الرجوع إلى تفسير الأئمة، "فإن الأخذ بظواهر الآيات والأحاديث قبل عرضها على كلام الأئمة أصل من أصول الكفر، فلا يجوز تفسير شيء من الآيات والأحاديث بالرأي ولا حملها على معان لم ينص عليها الأئمة المعتبرون، فلا بد في ذلك كله من النقل عن الأئمة المجتهدين في الدين العارفين بمعاني الكتاب المبين وبأحاديث النبي(ﷺ)"[2]، فليس لنا أن نقول فيما يذهب دحلان أن هذه

---

(١) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٣٧

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨، ولقد جاء في لسان العرب لابن منظور: "يقال ألت الشئ أوله، إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه" ابن منظور: لسان العرب، مادة أول، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٠٢هـ، ج١٣، ص٣٤ وفى القاموس المحيط "التأويل مأخوذ من الأول وهو الرجوع، قال :آل إليه أولاً ومآلاً، أي رجع عنه وارتد، ثم قال وأول الكلام تأويلًا وتأوله: أي دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة عن الرؤيا" الفيروز أبادي: مادة أول، القاموس المحيط، ج٣، ص ٢٥ ويذكر ابن منظور معني آخر للتأويل وهو أن التأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ" لسان العرب، ج١٣، ص٣٤، ويعرفه الجرجاني بأنه "صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقًا للكتاب والسنة" الجرجاني : التعريفات، تحقيق د . عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة،١٩٩١م، ص٥٩، ولقد عرفه الغزالي أيضًا بأنه "عبارة عن احتمال يعضده دليل، يصير به أغلب على الظن من المعني الذي يدل عليه الظاهر، ويشبه أن يكون كل تأويل صرفًا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز الغزالي: المستصفي من علم الأصول، دار الفكر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٣٨٧، ولكن استعمال كلمة تأويل تكشف النقاب عن وجود تفاوت أساسي بين معنى هذه الكلمة وبين معنى كلمة تفسير، فالتفسير في اللغة راجع إلى معنى الإظهار والكشف... فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه على نبيه محمد (ﷺ) وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه" الزركشى: البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص١٧٤، أما البغوي فيفرق بينهما بقوله: "التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنه" البغوى: معالم التنزيل في التفسير، طبعة المنار، القاهرة ١٣٤٥هـ، ج١، ص١٨، وبعد هذه المقارنة بين التفسير والتأويل يتضح أن التفسير لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا يتجه إلى شرح الألفاظ شرحًا لغويًا يؤدى إلى المعنى الظاهر من النص،أي أنه يلجأ إلى توضيح معاني الألفاظ، ورفع الغموض والإبهام عنها، في حين يهتم التأويل بالمعنى الباطن، وإذا كان التفسير لا يخرج عن معنى البيان والإيضاح والتدبر، فإنه يعتمد على منهج النقل والرواية، أما التأويل فيعتمد على منهج=

الآية تدل على كذا وهذا الحديث يدل على كذا إلا بالنقل عن الأئمة المعتمدين، لأننا لسنا من أهل الاجتهاد ولا الاستنباط، وحجته في ذلك فيما يقول: "إن العلماء قد ذكروا أن مرتبة الاجتهاد قد انقطعت بعد عصر الأئمة الأربعة، فلم يوجد بعدهم من فيه أهلية للاجتهاد المطلق، وهذا يعد حجر من جانبه على الاجتهاد على الأئمة فقط، ويضرب لنا دحلان مثالًا لتأويله، وأنه يجب عدم الأخذ بظاهر النص بقوله:"إن هناك أمثلة كثيرة يطول الكلام بذكرها، ولو كان الأخذ بظواهر القرآن جائز من غير عرضه على كلام الأئمة لأشكل كثير من الآيات من ذلك قوله تعالى﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1]، مع قوله تعالى﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]، فبينهما بحسب الظاهر تعارض يندفع بما قرره الأئمة في ذلك، قالوا إن معنى قوله تعالى وإنك لتهدي أنك تدل الخلق على الله، وتدعوهم إلى الإيمان به، ومعنى قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[3] أنك لا تخلق الهداية في قلوبهم، لأن الخالق لذلك هو الله تعالى، وأمثال ذلك في القرآن كثير"[4].

=مستحدث هو الدراية، أي استخدام العقل في تناول النص الديني. أما الشيعة فقد التزموا باطن النص، وهم أصحاب الاتجاه الرمزي الباطني في التأويل حيث قالوا:"إن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلًا" الشهرستانى: الملل والنحل، تحقيق د. محمد سيد كيلاني، مطبعة الحلبي ١٩٦٧م، ج١، ص١٥٠، فالمراد من القرآن عندهم باطنه دون ظاهره، حيث يرون أن آيات الكتاب سهلة يسيرة ولكنها على سهولتها تخفي وراءها معنى مستترًا" جولد تسهير: العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة د. محمد يوسف موسى، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٤٦م، ص٢٤٣، وأن الأخذ بالظاهر دون الباطن انتقاص للإسلام ككل والأخذ بحرفية النص مدعاة لإهمال ما تركه النبي للأئمة من إرث روحي، ذلك الإرث هو الباطن" هنرى كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية من الينابيع حتى وفاة ابن رشد، ترجمة نصير مروة وحسن قبيس، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٦م، ص٧٨، ولهذا أخذوا يؤولون كل لفظ ورد في القرآن والسنة.

وإطلاقه للمحتبسين عن الفهم به" الزركشى: البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص١٧٤، ولقد جاء في القاموس المحيط: "التفسير الإبانة وكشف المغطى"الفيروز أبادي، القاموس المحيط، المطبعة المصرية، القاهرة،١٩٣٥م، ج٢، ص١١٠ ولقد عرفه الزركشي بأنه"علم نفهم به كتاب الله المنزل".

(١) سورة القصص، آية : ٥٦

(٢) سورة الشورى، آية : ٥٢

(٣) سورة القصص، آية : ٥٦

(٤) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٣٨

الأصل الرابع: الإجماع(*)

وأثناء حديث دحلان عن الأئمة، نجد حديثًا عن الإجماع "فليس لنا أن نعدل عن كلام الأئمة ونأخذ ذلك بالرأي، فمن فعل ذلك كان من الضالين الهالكين، فيجب على كل من لم يبلغ درجة الاجتهاد أن يقلد واحدًا من الأئمة الأربعة الذين أجمعت الأمة على صحة مذاهبهم، وهم الإمام أبو حنيفة النعمان، والإمام مالك بن أنس، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم، فهم وأتباعهم هم أهل السنة والجماعة"(١) ويستشهد دحلان بالإجماع بحديث النبي(ﷺ) بأنه لا تجتمع الأمة على ضلال، واستناد الإمام الشافعي لكون الإجماع حجة من قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(٢) والمراد من الإجماع الذي يكون حجة، هو إجماع أهل السنة والجماعة، ولا عبرة بغيرهم من المبتدعة والفرق الضالة، فإن أهل السنة والجماعة هي الفرقة الجارية على ما كان عليه النبي وأصحابه، وهم الجماعة الكثيرة وهم أهل السنة والجماعة"(٣)

ثم يوجه الإمام دحلان نقده إلى الشيعة الذين يكفرون أبي بكر وينكرون إمامته، ويرى أن إنكار صحبة أبي بكر كفر ؛ لأنها مذكورة في القرآن في قوله تعالى:﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾(٤) وأجمعت الأمة أن المراد بالصاحب في الآية أبو بكر رضي الله عنه، وكذا إنكار براءة عائشة رضي الله عنها كفر ؛ لأن الله أنزل عشرة آيات في سورة النور في براءتها، فمن أنكر براءتها فهو كافر، ولا يجوز التعرض لها بشيء يقتضي النقص بل يجب محبتها ؛ لأن النبي أثنى عليها، وقال خذوا شطر دينكم عنها، وأخبر أن الله زوجه

(*) يقصد بالإجماع اتفاق الفقهاء والمجتهدين من علماء الأمة وأئمتها على أمر ديني معين، ويعد أصلًا من أصول التشريع أنظر الجرجاني: التعريفات، ص١١٨ والإجماع عند ابن تيمية حجة لأن الأمة لا تجتمع على ضلاله وذلك لسببين: الأول: أن النبي(ﷺ) هو خاتم الأنبياء إذ لا نبي بعده، فعصم أمته أن تجتمع على ضلاله، ولهذا كان إجماعهم حجة، كما كان الكتاب والسنة حجة، ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة والسنة والجماعة من أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله(ﷺ) وعما مضت عليه جماعة المسلمين، الثاني: إن الله قد عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة، وهي عصمة مقبولة عقلًا وشرعًا بانقطاع النبوات بعد النبي محمد(ﷺ) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ج٣، ص٢٧٢

(١) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٣٩

(٢) سورة النساء، آية : ١١٥

(٣) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٤٠

(٤) سورة التوبة، آية : ٤٠

إياها وأنها زوجته في الدنيا والآخرة، كل ذلك ثبت بالأحاديث الصحيحة التي لا يمكن الطعن فيها"[١]

ومن تأمل الآيات التي نزلت في براءتها وعرف معناها، علم أنها صديقة بنت صديق وأن لها قدرا عظيمًا عند الله تعالى، قال تعالى في بعض الآيات التي نزلت في براءتها: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٢] وقال تعالى تهديدا للقاذفين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[٣] فمن تصفح القرآن وتتبعه لم يجد فيه آية فيها تهديد مثل هذا التهديد، ولا تخويف مثل هذا التخويف، وذلك دليل على رفعة قدر السيدة عائشة رضي الله عنها عند الله تعالى وتعظيم شأنها، كما أن أدلة تفضيل الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة الذي هو مذهب أهل السنة كثيرة، وهي صحيحة متواترة وثابتة عن علي رضي الله عنه، وأكابر علماء أهل البيت، وأما أحقية تقديم أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة، فقد ثبت عن علي رضي الله عنه الاعتراف بحقبة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ونقل ذلك عن الجم الغفير من أصحابه، حتى صار ذلك متواترًا فإنكاره محض عناد ومكابرة.

ثالثًا: نقد مشكلة التقية[*] عند الشيعة

تعد التقية عند الشيعة ركنًا من أركان الدين كالصلاة، وليست رخصة كما هي عند أهل السنة، ولقد عرفها شيخهم المفيد بأنها: "كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة

---

(١) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٣٩

(٢) سورة النور، آية : ٢٦

(٣) سورة النور، آية : ٢٣-٢٥

(*) التقية في اللغة: اسم مصدر من الاتقاء، بمعنى استقبل الشيء وتوقاه، يقال: اتقى الرجل الشيء يتقيه، إذا اتخذ ساترًا يحفظه من ضرره" ابن منظور: مادة وقى بلسان العرب، دار صادر، بيروت، ج١٥، ص٤٠٢، ولهذا قال ابن حجر: التقية هي الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير" ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج١٢، ص٣١٤، وهذا يعني الكتمان، وقد يضطر لإظهار خلاف ما في النفس بلسانه، قال ابن عباس "التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان" انظر : محمد بن أحمد الطبري : مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، ١٩٨٥م، ج٦، ص٣١١، ولقد عرّفها ابن قيم الجوزية فقال: التقية أن يقول العبد خلاف ما يعتقده لاتقاء مكروه يقع به لو لم يتكلم بالتقية" ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة، تحقيق : يوسف بن أحمد البكري أبو براء، أحمد بن توفيق العاروري، مكتبة الرمادي للنشر – الدمام، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ج١، ص١٣٨، هكذا تعني التقية عدم إظهار ما يعتقده الإنسان ويؤمن به بالقول أو الفعل مع إظهار ما ينافيه أو بدونه لغرض تجنب الضرر الذي يتحقق بالإظهار.

المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا"[١]، والمخالفون هنا هم أهلُ السنة، أي هي إظهار مذهب أهل السنة الذي يرونه باطلًا، وكتمان مذهب الرافضة[٢] وقد جعل الشيعة ترك التقية كاقتراف الشرك، فكما لا يغفر الشرك، فالتقية لا يغفرها الله، ولقد ذكر المجلسي عن علي بن الحسين قوله: "يغفر الله للمؤمنين كل ذنب، ويطهر منه في الدنيا والآخرة، ما خلا ذنبين هما ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان"[٣]

ولقد لجأت الشيعة في إثبات التقية إلى تأويل القرآن الكريم تأويلًا يوافق معتقدهم، ولا شك أن هذه التأويلات تأويلات باطلة، وقد أدت إلى ضياع عقيدة مذهب الأئمة عندهم، حتى إن شيوخهم لا يعلمون الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة، ولهذا وجه الإمام دحلان نقده لفكرة التقية عند الشيعة، ويرى: "أنه لابد أن نقيم الحجة والبرهان على المخالف في إبطال التقية التي ينسبونها لعلي رضي الله عنه وهو بريء منها ؛ لأن نسبة التقية إليه يستلزم نسبة الذل والجبن له –حاشاه الله من ذلك– بل يستلزم نسبة ذلك لجميع بني هاشم حاشاهم من ذلك، فإن عليا رضي الله عنه كان في قوة ومنعة بهم، لو أراد الخلافة زمن الخلفاء الثلاثة قبله، أو كان عنده نص أو رأى أنه أحق منهم بها لنازعهم فيها، ولوجد من يقوم معه وينصره في ذلك، ولكنه عرف الحق في ذلك وانقاد له، ولم يترك ذلك تقية كما يقولون، ولو كان عنده نص لأظهره ولم يكتمه، ولما انقضت خلافتهم وجاء الحق ونازعه من ليس مثله حاربه وقاتله ولم يترك ذلك تقية، فنسبة التقية إليه فيها تحقير وإذلال له"[٤]، ولو صحت نسبة التقية له، لم يوثق بشيء من كلامه ؛ فإن كل شيء يقوله أو يفعله يحتمل حينئذ أن يكون تقية، حاشاه الله من ذلك"[٥]

ثم إن الرافضة[*] قبحهم الله تجرأوا على النبي(ﷺ) ونسبوا التقية أيضًا إليه، فإنهم لما أقيمت عليهم الحجج الواضحة في أحقيه خلافة أبي بكر رضي الله عنه التي منها حديث:

---

(١) الشيخ المفيد بن النعمان : صحيح اعتقادات الإمامية، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ، ص١٣٧

(٢) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ج٢، ١٩٦٩م، ص١٦

(٣) المجلسي: بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ، ص١٨١انظر أيضًا : الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية، ص١٠٧

(٤) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٤١

(٥) المصدر نفسه، ص٤٢

(*) لقد سموا رافضة لرفضهم إمامة أبو بكر وعمر وعثمان انظر: أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج٢، ص١٦.

"مروا أبا بكر فليصل بالناس" وكان معلومًا علمًا ضروريًا عند الصحابة رضي الله عنهم أن الأمير هو الذي يصلي بالناس، ففهموا من ذلك أنه الخليفة بعده، وكان ذلك الحديث لا يمكن إنكاره، ومروي عن كثير من الصحابة منهم علي رضي الله عنه، ومع ذلك قالوا إنما قال النبي ذلك تقية، مع أن لأهل السنة أدلة كثيرة على تقديم أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة، ولو فرض أنه لم يوجد دليل إلا حديث الأمر له بالصلاة بالناس لكان كافيًا، كيف وقد انضم إلى ذلك إجماع الصحابة على صحة خلافته، ولا تجتمع الأمة على ضلال كما جاء ذلك عن النبي(ﷺ)، وصح عن علي رضي الله عنه التصريح بأنهم دخلوا في بيعة أبي بكر رضي الله عنه لم يتخلف منهم أحد، فالقول بعدم صحة خلافته يستلزم تخطئة جميع الصحابة واجتماع الأمة على ضلال"[١]

ويستلزم أيضًا تكذيب النبي(ﷺ) في أحاديث كثيرة، وفي أن أمته لا تجتمع على ضلال، ويستلزم أيضا تكذيب القرآن في شهادته لهم بالصدق في قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٢] وفي إخباره باستحقاقهم الجنة، ويستلزم أيضًا إبطال الشريعة، لأنها إنما وصلت إلى الأمة بطريق الصحابة، بل يلزمهم أيضًا التشكك في صحة القرآن ؛ لأنه إنما وصل إلينا من طريقهم"[٣] ومذهب أهل السنة والجماعة فهو المذهب الحق الذي كان عليه النبي(ﷺ) وأصحابه بلا إفراط فيها ولا تفريط، ولا قدح في أحد الصحابة، ولا تكذيب لشيء من القرآن والسنة: "ومن نظر في كتب الحديث وتأمل في سيرة النبي(ﷺ) من حين بعثه الله تعالى إلى أن توفاه، علم منزلة الشيخين عنده، وأنهما كانا عنده في أعظم المنازل ؛ لأنه كان يقربهما ويدنيهما ويستشيرهما، وكانا يقضيان ويفتيان بحضرته، ويراجعانه في بعض الأمور، وربما أنه أراد أن يفعل بعض الأشياء أو يأمر بها، فيريان أو أحدهما خلاف ذلك، فيراجعان النبي(ﷺ) وقد يكرران عليه المراجعة، فيرجع إلى قولهما أو قول أحدهما، ولو كان ذلك غير حق لما رجع إليه ووافق عليه، وإلا كان فاعلًا خطأ أو مقرًا عليه، وهو معصوم من ذلك"[٤]

كما أن القول بالتقية يستلزم أن لا يوثق بشيء من أقواله أو أفعاله، إذ إن ذلك كله على قولهم يحتمل التقية، فيلزمهم إبطال الشريعة والأحكام، ولا يقال إن مراجعة الشيخين أو أحدهما للنبي(ﷺ) في بعض الأشياء سوء أدب أو مخالفة لأمره ؛ لأنهما علما رضاه بذلك

---

(١) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٤٣

(٢) سورة الحشر، آية : ٨

(٣) أحمد بن زيني دحلان: مصدر سابق، ص٤٤

(٤) المصدر نفسه، ص٤٥

وسروره به ورغبته فيه، وما ذلك إلا لعظم منزلتهما عنده: "ولقد نزل كثير من آيات القرآن موافقًا لرأي عمر رضي الله عنه، وعاتب الله نبيه في مخالفته رأي عمر في قصة أسرى بدر، ولما بعث الله نبيه، كان أعظم قائم بنصرته أبو بكر رضي الله عنه، فكان يعينه على تبليغ رسالة ربه، ويدعو الناس إلى الدخول في دينه، ويدفع عنه من يتعرض له، وقد ناله من قريش أذى كثير، وكذلك عمر رضي الله عنه كان من أعظم القائمين بنصرته بعد إسلامه، فكان من أعظم الناس شدة على كفار قريش، حتى أنزل الله عند إسلامه:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] أي يكفيك من حصل إسلامهم، فلا تبال بتأخر غيرهم، وكان علي رضي الله عنه صغيرًا في أول بعثة النبي، وإن كان بعد أن كبر كانت منه النصرة المأثورة والمواقف المشهورة، لكنهما كانا مميزيْن عنه بالنصرة الحاصلة في بدء الإسلام، ولو كان ملك من ملوك الدنيا أعانه بعض الناس على تأسيس ملكه ونصرته على أعدائه حتى ظهر أمره وتم مراده، لكان يحبه ويفضله على كثير من أقاربه، فما بالنا بهؤلاء السابقين بالإسلام الذين قاموا بنصرة النبي حتى أظهر الله دينه"[2]

ولهذا يذهب الإمام دحلان إلى أن "الرافضة نظروا إلى القرابة، وغفلوا عن هذه الأشياء، وأهملوا قول علي رضي الله عنه: "لا يجتمع حب وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن"، وأهملوا الآيات والأحاديث التي جاءت في فضل الشيخين وغيرهم من الصحابة، فأداهم الأمر إلى إبطال الشريعة التي وصلت إلينا من طريقهم"[3] ثم يجب عند اعتقاد التفاضل على الوجه الثابت عند أهل السنة ألا يعتقد نقص في المفضول بالنسبة للفاضل، ولا يلاحظ ذلك قط بل يعتقد التفاضل مع اعتقاد أن الكل بلغ غاية الكمال والفضل، لأنهم باجتماعهم بالنبي ونصرته أشرقت عليهم أنواره حتى فُضلوا على كل من يأتي بعدهم، ولهذا يقول دحلان: "وليحذر المؤمن من اعتقاد نقص لأحد منهم، أو التعرض لشيء من السب الذي ارتكبه كثير من المبتدعة ؛ لأن ذلك يوجب لعنة فاعله، ولو كان السب طاعة مأمورًا بها، لأمر الله بسب إبليس الذي هو أشقى الخلق، وسب فرعون وهامان وقارون وغيرهم من الكفرة، فلو لم يلعن الإنسان في عمره قط أحدًا منهم، لا يعاقبه الله ولا يسأله عن ترك السب، فكيف هؤلاء المبتدعة يرتكبون لعن أصحاب رسول الله الذين نصروه وبلغوا شريعته لأمته"[4]

---

(١) سورة الأنفال، آية ٦٤

(٢) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٤٥

(٣) المصدر نفسه، ص٤٦

(٤) أحمد بن زيني دحلان: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ص٤٦

ولا شك أن العمل بالتقية عند أهل السنة يختلف تمام الاختلاف عن استخدام الشيعة لها، حيث تكون عندهم في حالة الضرورة، ولابد من سبب قوي يبيح للمسلم اللجوء إليها، وهي رخصة من الله تعالى، وليست بواجب أو فرض، بل تركها أفضل، والأدلة الواردة على أفضلية العزيمة على الرخصة في حالة التقية ما روي عن الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي (ﷺ) فقال لأحدهما: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم فخلاه ، ثم دعا بالآخر وسأله وقال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم قال: أتشهد أنى رسول الله؟ قال: إني أصم ، قالها ثلاثًا، فضرب عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله(ﷺ) فقال: أما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه، وأخذ بفضيلة فهنيئًا له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه"[1] ففي هذه القصة – إن صحت – مدح النبي(ﷺ) الرجل الأول، وشهد له بالصدق واليقين، وهذه فضيلة له في حين لم يعب على الآخر أخذه بالتقية، وقد وردت في القرآن الكريم قصة أصحاب الأخدود، حيث أمر الملك الكافر لمن آمن منهم أن يفتن بنار عظيمة في أخدود وقال: من لم يرجع عن دينه فاحملوه فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنك على الحق[2] قال القرطبي في معرض تعليقه على هذه الرواية:"إن الصبر على البلاء لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى، ولقد أمتحن كثير من أصحاب النبي(ﷺ) بالقتل والصلب والتعذيب الشديد فصبروا، ولم يلتفتوا إلى شيء من ذلك"[3] أي أن في الثبات إعزازًا لأمر الله تعالى واستظهارًا لدينه، وإعلاءً لكلمته، وتثبيتًا لعامة المسلمين على الحق، وعدم جواز التقية على النبي(ﷺ) ؛ لأنه هو المبتدئ بالشرع، وجواز التقية عليه يعني فقد الأحكام الحقة عند المكلفين، كما يؤدي إلى التشكيك في أخباره، أما عند الشيعة فيجوز ذلك حتى يخرج الإمام من ورطة التقية، فلم يتورعوا أن يلقوها على النبي(ﷺ) وأصحابه، وهذا أبطل الباطل، فقد أرادوا الهروب من الإشكال، فوقعوا في إشكال أعظم منه.

رابعًا: نقد دحلان للسمعيات عند الشيعة

إن المسائل الغيبية من الأمور الواجب الإيمان بها والتسليم بما وردت عنها شرعًا دون الخوض في ماهيتها، وإن كان هناك من الشيعة أو غيرهم ممن أنكر تلك الغيبيات، وأخذوا

---

(١) ابن أبي شيبة : المصنف، ج٦، ص٤٧٦

(٢) الإمام مسلم: الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، ج٤، ص٢٣٠، رقم ٣٠٠٥

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م، ج٤، ص٢٩٣، أيضًا ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جمعية إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العرفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ج٣، ص١٦٠، انظر أيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ح١٣، ص٢٦٨.

يتأولون النصوص الشرعية وفق ما تمليه عليهم أهواؤهم، وجاءوا بمفاهيم عن المبدأ والمعاد والملائكة، وغيرها من عقائد الإيمان بالغيب تغاير تمامًا ما جاء به الإسلام[١] فقد تناول الشيعة كل ما ورد في القرآن بالتأويل، فهم لا يأخذون شيئًا بظاهره أبدًا، فالملائكة والشياطين والجنة والنار كلها رموز، فلقد صاغ الشيعة كل ما يتعلق بالأخرويات صياغة عقلية، فرفضوا كل ما يذهب إليه أهل الظاهر من أن ما ورد به السمع من الأخبار عن الأمور الغيبية مثل"الجنة والنار فيجب أجراؤها على ظاهرها، والإيمان بها كما جاءت، إذ لا استحالة في إثباتها، وما ورد من الأخبار عن الأمور المستقبلية في الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه، ومثل الميزان والحساب والصراط، وانقسام الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير حق يجب الاعتراف بها وإجراؤها على ظاهرها، إذ لا استحالة في وجودها"[٢].

ولكن الشيعة قد أخذوا يتأولون النصوص وفق ما تمليه عليهم رغباتهم وجاءوا بمفاهيم أخري عن عذاب القبر ونعيمه والبعث والميزان، ولهم طريقة باطنية خاصة في تفسير معنى الملائكة والشياطين، فالملائكة في نظرهم نفوس خيرة موكلة بحفظ العالم وصلاح الخليقة، وقد كانت متجسدة قبلُ وقتًا من الزمان، فتهذبت وفارقت أجسادها واستقلت بذاتها وفازت ونجت[٣]، أي إن النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة، ومتى فارقت الجسد صارت ملائكة بالفعل، كذلك الشياطين، هم النفوس الشريرة التي فارقت الجسد وبقيت بعيدة عن الحقائق، سابحة في بحر الهيولي، وفضلًا عن ذلك كله فقد أطلقوا لفظ شيطان:"على كل من غَلَبَ هواه على عقله، ومن أطاع نفسه الغضبية"[٤] ولفظ الملائكة عندهم له معنيان[٥]، أحدهما شرعي والآخر فلسفي، فهم يُسمَّوْنَ باللفظ الشرعي: "الملائكة الموكلين بحفظ العالم وتدبير الخليقة بإذن الله، ويسمون باللفظ الفلسفي قوى طبيعية وهى فاعلة في الأجسام بإذن الله"[٦].

---

(١) أبو حامد الغزالي: فضائح الباطنية، تحقيق د.عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١١٦

(٢) الشهرستانى: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٠٢هـ، ج٢، ص١٠٤

(٣) د. أحمد محمد عبد القادر: عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٥م، ص١٩

(٤) إخوان الصفا: الرسالة الجامعة، تحقيق د.جميل صليبا، مطبعة الجامعة السورية، د . ت، ج١،ص١٣٤

(٥) إخوان الصفا : الرسائل، تحقيق خير الدين الزركلي، المطبعة الأميرية بمصر، القاهرة ١٩٢٨م، ج٢، ص١٠٨

(٦) شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي : رسالة الدستور دعوة المؤمنين للحضور، تحقيق مصطفي غالب، ضمن أربع رسائل إسماعيلية، ص٩٣، انظر أيضًا د. محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية تاريخها ونظمها وعقائدها، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٧١

كما أن الشيعة الإسماعيلية قد أولوا القبر تأويلًا يختلف عما جاء به القرآن الكريم وصدقت به السنة النبوية، فالقبر عندهم هو الصورة الجسمانية والهياكل الجرمانية، أما عذاب القبر فهو تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطباع وذلك على سبيل التغير، وأما إتيان منكر ونكير فهو استيلاء القوة الشهوانية والغضبية الداعيتين إلى الهلاك، أما الحشر فهو انحطاط النفوس في سلك انقيادها وانحيازها إلى ما فيه ذاتها، وأما النشر فهو ظهور النفوس في عالم بعد عالم على وفق مكتسبيها[١]، هكذا تنكر الشيعة الإسماعيلية عذاب القبر ونعيمه إنكارًا تامًا، حيث يقولون إن النفس لا تبقى في قبرها حيث تتصاعد وتتحول إلى مايجانسها، ويوم القيامة عندهم هو"قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية، وقيام الدور ببروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية وقيام القيامة كمال الإخلاص والنجاة واستراحة النفوس بأجمعها من الإيراد والإصدار واتصالها بعالم القدس ومحل الأنوار، وانقضاء مدة الساعات الكبيرة، واجتماع السيارات بعد افتراقها في نقطة الاعتدال الأول بقيامه الكل، وانقضاء البعثتين، وحصول العلم والقدرة في العالمين[٢]. والبعث الحقيقي الذي يعرف على أنه قيام الأجساد من التراب ورجوع الأرواح إليها هو عندهم "الانتباه من نوم الغفلة، واليقظة من رقدة الجهالة والجباه بروح المعارف، والخروج من ظلمات عالم الأجسام الطبيعية، والترقي إلى درجات عالم الأرواح، ورجوع النفس إلى عالمها الروحاني ومحلها النوراني"[٣]، أما الحشر الحقيقي عندهم فهو جمع النفوس الجزئية نحو النفس الكلية واتحاد بعضها ببعض، أما الحساب الحقيقي فهو موافقة النفوس الكلية النفوس الجزئية بما عملت عند كونها في الأجساد، على أن التصريح بحقيقة الآخرة للعامة وأشباههم لا يجوز[٤]، والجنة عندهم تتمثل في علم الباطن، أما النار فهي علم الظاهر، وأبواب الجنة هي درجات العلوم الباطنية، ودرجات الحكمة البالغة، وإنما سماها أبوابًا كأبواب الكتاب، فإنها درجات ما فيها من العلوم[٥]

هكذا تتمثل الجنة في العلم بالتأويل ومعرفة الحقائق، وكانت النار هي نار الجهل بالتأويل، لذا تعد الجنة حالًا روحانية، لهذا يعتقد إخوان الصفا أنه من فساد الرأي وألم النفس

---

(١) الغزالي : فضائح الباطنية، ص١١٦

(٢) إخوان الصفا : الرسائل، ج٤، ص١٥٧

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨٥

(٤) د. عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين واختلاف المصليين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٧١م، ج٢، ص٣٠٢

(٥) إخوان الصفا : الرسائل، ج٣، ص٨٧

اعتقاد بعض الناس:" أنه يباشر في الجنة – أي يتزوج الأبكار – ويلتذ منها، ويشرب الشراب في الجنة ويكون الله ساقيه، وأنه يتمنى في الجنة الطيور المشوية فيحصل عليها بعد تمنيه لها في الحال، ثم يأكل منها حتى الشبع، ثم بعد ذلك تطير الطيور، كذلك من يعتقد أن الله يأمر الملائكة بأن يأخذوا الكفار والعصاه ويرمون بهم في خندق من النار، وكلما احترقت جلودهم وصاروا فحمًا ورمادًا أعاد فيها الرطوبة والحياة ليذوقوا العذاب، وأن في الجحيم تنانين وثعابين وأفاعي يأكلون الفساق، ويصيرون أحياء بعد ذلك، وما شاكل هذه الاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها[١] وإذا قلنا إن جميع ما نطق به الأنبياء عليهم السلام من صفة الجنة ونعيم أهلها وعذاب النار والعقاب وأحوال القيامة كلها حق وصدق لا مرية فيه، فإنهم يرون:" أن الأنبياء غرضهم من وصف الجنة وصفًا جسمانيًا إنما هو على سبيل التشبيه ليقربوا تصورها من فهم الناس، وليرغبوا عامة الناس فيها، فإن عامة الناس لا يرغبون إلا فيما يتحقق"[٢]

هكذا يبين الشيعة أوهام الناس الذين يأخذون أقوال الأنبياء على ظاهرها، ولم توجه تلك الأقوال إلا إلى العامة الذين لا يستطيعون فهم المعاني، فهم يرون أن القرآن يجب أن يفهم على طريقة التأويل والمجاز ،لأنه ليس هناك معني للتمسك بحرفيته، وأن الشعائر الدينية ليست إلا للعامة، أما الخاصة فلا يلزم فيها العمل بالشرائع الدينية، وأنبياؤهم الفلاسفة[٣].

ونظرًا لأن هذه التأويلات للسمعيات تأويلات غير صحيحة، فإن الشيخ دحلان ومن خلال منهجه النقدي للشيعة يرى أن السمعيات: "يجب الإيمان بها بأدلة قطعية من كتاب الله وسنة نبيه محمد(ﷺ)، ولا يوجد دليل عقلي يمنع وقوعها، بل تدخل في الأمور الجائزة عقلًا كالملائكة والجنة والنار، وأنهما موجودان، وكل ما ورد الشرع به يجب الإيمان به في الإجمال والتفصيل"[٤]، ومن السمعيات التي يجب الإيمان بها الملائكة، وهي عند الشيخ دحلان، أجسام لطيفة نورانية لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، شأنهم الطاعات، ومسكنهم السماوات، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون، والملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن هم جبريل وميكائيل عليهم السلام، قال تعالى:﴿ **مَن كَانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾[٥]، ومالك خازن النار قال تعالى﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ

---

(١) المصدر نفسه، ص٨٧

(٢) د. مرفت عزت بالي : نماذج من مذاهب الفرق الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، قاهرة،١٩٩٠م، ص١٣٠

(٣) الزيني دحلان : حاشية على عقيدة أهل السنة، مكتبة جامعة الرياض، السعودية، ص١٢

(٤) المصدر نفسه، ص١١

(٥) سورة البقرة، آية : ٩٨

لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [1] وذكر ملك الموت بوظيفته وليس باسمه قال تعالى:﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [2] كما أن الملائكة عالم خلقه الله من نور، لهم قدرة على التمثل بأمثال الأشياء بإذن الله، ولا يصفون بذكورة أو أنوثة، وهذا بخلاف الإنس والجن الذين يتناسلون ويتناكحون، ويصفون بالذكورة والأنوثة، قال تعالى:﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[3] ويجب الإيمان بهم إجمالًا ولا يعلم عددهم إلا الله[4]، وهم ليسوا على درجة واحدة في الخلق والمقدار، فبعض الملائكة له جناحان وبعضهم له ثلاثة، وبعضهم له ستمائة جناح مثل جبريل، ولهم عند ربهم مقامات متفاوتة، قال تعالى﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [5] أي له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله[6].

ومن الأمور الغيبية التي يتحدث عنها الشيخ دحلان حياة البرزخ: "فيجب على العبد الإيمان بها بعد موته، حيث يأتيه ملكان فيسألاه عن ربه وعن نبيه وعن دينه، إن أجاب أن الله ربي، ومحمد نبيّ، والإسلام ديني، والكعبة قبلتي، والمؤمنون إخواني، فيقولان له نم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب الناس إليه، ويوسع له في قبره ويفتح له طاقة في الجنة، فيأتيه من روحها ونعيمها إلى أن يبعثه الله، وإن لم يجبهم أي الملكين عذباه بأنواع العذاب وفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها إلى أن يبعثه الله، والأحوال التي تقع للأموات للأحياء إحساس بها، فيجب الإيمان بها، وإن لم تصل العقول إلى معرفتها"[7]. معني هذا أن اللذة الحقيقية في الآخرة هي ليست لذة علمية عقلية واقعة في عالمنا كما تذهب الشيعة، وتحصلها النفس من جهة تحصيلها العلمي، وإذا ما حصل للإنسان العلم يكون له جنة وهذا هو الثواب، أما المحروم من العلم يكون قد وقع في العقاب، ولكن يرى دحلان أن السمعيات يجب الإيمان بها بأدلة قطعية من كتاب الله وسنة نبيه، ولا يوجد دليل عقلي يمنع وقوعها بل تدخل في الأمور الجائزة عقلًا.

خامسًا: موقف دحلان النقدي من الوهابية:

أما عن موقف الشيخ دحلان النقدي من الوهابية وشيخها، فهذا ما ذكره الشيخ رشيد رضا في مقدمة كتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" بقوله: "تصدى للطعن في

---

(١) سورة الزخرف، آية :٧٧
(٢) سورة السجدة، آية : ١١
(٣) سورة الزخرف، آية : ١٩
(٤) الزيني دحلان : حاشية على عقيدة أهل السنة، ص١٢
(٥) سورة الصافات، آية : ١٦٤
(٦) الزيني دحلان : حاشية على عقيدة أهل السنة، ص١٣
(٧) المصدر نفسه، ص١٤

الشيخ محمد بن عبد الوهاب[*] والرد عليه أفراد من أهل الأمصار المختلفة، وكان أشهر هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمة، وألف الإمام دحلان رسالة في ذلك، تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين: قطب الكذب والافتراء على الشيخ، وقطب الجهل بتخطئته في ما هو مصيب فيه، حيث أنشئت أول مطبعة في مكة المكرمة في زمن هذا الرجل، فطبع رسالته وغيرها من مصنفاته فيها، وكانت توزع بمساعدة أمراء مكة ورجال الدولة على الحجاج، فعم نشرها، وتناقل الناس مفترياته في كل قطر، وصدقها العوام وكثير من الخواص، كما اتخذت المبتدعة رواياته ونقوله الموضوعة وتحريفاته للروايات الصحيحة حججًا يعتمدون عليها في الرد على دعاة السنة[١].

لقد بدأنا بعرض وجهة نظر الشيخ رشيد رضا في الإمام دحلان ونقده له لكي نبين هل نقده له يعد صحيحًا أم أن نقده لا يمت إلى الواقع ومما قدمه دحلان بصلة؟ ولا شك أن نقد الإمام دحلان نابع من كونه رجل دين، فقد كان مفتيًا لمكة وكان إمامًا للحرمين، وأعتقد أن رأيه لا يخرج عن هذا الإطار، كما أنني أتساءل هل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدًا عن النقد، هل كان صائبًا في كل آرائه؟ بحيث لا يمكن توجيه النقد له؟

بداية يري الشيخ دحلان أنه قد حدث في عهد السلطان سليم الثالث(١٢٠٤-١٢٢٢هـ) فتن كثيرة، منها فتنة الوهابية التي كانت في الحجاز حتى استولوا على الحرمين، ومنعوا وصول الحج الشامي والمصري، ومنها فتنة الفرنسيين لما استولوا على مصر(سنة ١٢١٣هـ

(*) ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب(سنة ١١١٥هـ) في أسرة معروفة بالعلم والصلاح، وتعلم القرآن وحفظه قبل بلوغه عشر سنين، وكان حاد الفهم وقاد الذهن سريع الحفظ، قرأ على أبيه الفقه، ورحل إلى عدد من الأقطار، فأتى البصرة والإحساء والحجاز، وللشيخ مؤلفات كثيرة، منها كتاب التوحيد، ومختصر السيرة، وغيرهما من المؤلفات التي تدل على علمه، ليس للوهابية ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص، ولكنه كان مجدداً لدعوة الإسلام، ومتبعًا لمذهب أحمد بن حنبل" انظر الشيخ محمد بهجة البيطار: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٠٠، قال الشوكاني عنه "وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان أرسل بهما إليّ حضرة مولانا الإمام، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد، والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة" انظر الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج٢، ص٧، وممن أثنى عليه علامة الهند المحدث محمد بشير السهواني، في كتابه: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان حيث يقول: "لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة، ولا عن أهل السنة والجماعة منهم، وجميع أقواله في هذا الباب، أعني ما دعا إليه من توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العمل والعبادات مجمع عليه عند المسلمين، لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم وعدل عن مناهجهم، كالجهمية والمعتزلة، وغلاة عباد القبور، بل قوله مما اجتمعت عليه الرسل" انظر محمد بشير السهواني: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ص٣

(١) محمد بشير السهواني : صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ص٣

إلى سنة ١٢١٦هـ)، أما فتنة الوهابية فيما يرى: "فكانت قوتهم وشوكتهم في بلادهم أولًا، ثم كثر شرهم، وتزايد ضررهم، واتسع ملكهم، وقتلوا من الخلائق مالا يحصى، واستباحوا أموالهم، وسبوا نساءهم، وكان مؤسس مذهبهم الخبيث محمد بن عبد الوهاب، كانت ولادته سنة ألف ومائة وإحدى عشرة، وهلك سنة ألف ومائتين، وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة، وكان أبوه رجلًا صالحًا من أهل العلم، وكذا أخوه الشيخ سليمان، وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرسون فيه أنه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزعاته في كثير من المسائل، وكانوا يوبخونه، ويحذرون الناس منه، فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين، وخالف فيه أئمة الدين، وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين"[١].

أما عن سبب تكفير محمد بن عبد الوهاب للناس، فهو فيما يرى الإمام دحلان :"زعمه أن زيارة قبر النبي(ﷺ) والتوسل به وبالأنبياء والأولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك، وأن نداء النبي (ﷺ)عند التوسل به شرك، وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك، وأن من أسند شيئًا لغير الله، ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركًا نحو نفعني هذا الدواء، وهذا الولي الفلاني عند التوسل به في شيء"[٢]، وقد تمسك الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأدلة لا تنتج له شيئًا من مرامه، وأتى بعبارات مزورة زخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه، وألف لهم في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد[٣].

وفتنة الوهابية فيما يرى دحلان من المصائب التي أصيب بها الإسلام، فإنهم سفكوا كثيرًا من الدماء، وانتهبوا كثيرًا من الأموال، وعم ضررهم، وتطاير شررهم في:

١- منع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الناس عن زيارة قبر الرسول(ﷺ)، فلقد روى الشيخ دحلان أن "من مقابح الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه لما منع الناس من زيارة قبر الرسول(ﷺ)، خرج ناس من الإحساء وزاروا النبي(ﷺ) وبلغه خبرهم، فلما رجعوا مروا عليه بالدرعية، فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية إلى الإحساء، وبلغه مرة أن جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج، وعبروا على الدرعية، فسمعه بعضهم يقول لمن اتبعه خلوا المشركين يسيرون في طريق المدينة، والمسلمين يعني أتباعه يخلفون معنا"[٤].

---

(١) دحلان : الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص١١

(٢) أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرم، مكتبة الحقيقة، استانبول، ٢٠١١م، ص٨

(٣) المصدر نفسه، ص١٤

(٤) أحمد بن زيني دحلان : الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٧٦

٢- إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد انتقص من قدر النبي(ﷺ) كثيرًا بعبارات مختلفة، ويزعم أن قصده هو المحافظة على التوحيد، فمنها أن يقول إنه طارش وهو في لغة أهل المشرق يعني الشخص المرسل من قوم إلى قوم آخرين، فمراده أن النبي(ﷺ) حامل كتب، أي غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر لأناس ليبلغهم إياه ثم ينصرف[١].

٣- إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أمر بحرق الكتب الدينية، وأنه قد أحرق كتاب "دلائل الخيرات" من كتب الصلاة على النبي(ﷺ)، ويتستر على ذلك بقوله على أن ذلك بدعة وأنه يريد المحافظة على التوحيد، وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرًا منها[٢].

٤- ذكر الشيخ دحلان أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يكره الصلاة على النبي(ﷺ) ويتأذى من سماعها، وينهي عن الإتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر، ويؤذي من يفعل ذلك، ويعاقبه أشد العقاب، حتى إنه قد قتل رجلاً أعمى كان مؤذنًا صالحًا، نهاه عن الصلاة على النبي(ﷺ) في المنار بعد الأذان، فلم ينته وأتى على الصلاة على النبي(ﷺ) فأمر بقتله فقتل[٣].

٥- يذكر الشيخ دحلان أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك، وكان أول أمره مولعًا بمطالعة أخبار من ادعي النبوة كاذبًا كمسيلمة الكذاب، فكأنه يضمر في نفسه دعوى النبوة، ولو أمكنه إظهار هذه الدعوة لأظهرها[٤].

٦- تكفير الشيخ محمد بن عبد الوهاب للناس إلا من اتبعه وزعم أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه هو إخلاص التوحيد والتبري من الشرك، وأن الناس كانوا على شرك منذ ستمائة سنة، وأنه جدد للناس دينهم وحمل للآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [٥] وكقوله تعالى:﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ [٦]

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٥
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤
(٣) أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرم، ص٧٦
(٤) المصدر نفسه، ص٨٦
(٥) سورة الأحقاف، آية :٥
(٦) سورة يونس، آية : ١٠٦

٧- تحريم الشيخ محمد بن عبد الوهاب التوسل بالنبي(ﷺ) والأولياء والصالحين فقال من استغاث بالنبي(ﷺ)، أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين، أو ناداه أو سأله الشفاعة، فإنه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات، وجعل زيارة قبر الرسول(ﷺ) وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك، فإن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[١] قال:"فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئًا، بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [٣] فما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ليقربونا إلى الله زلفى فهؤلاء مثلهم"[٤].

٨- منع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الناس من طلب الشفاعة من النبي(ﷺ)، مع أن أحاديث النبي(ﷺ) لأمته كثيرة ومتواترة، وأكبر شفاعته لأهل الكبائر من أمته[٥]. وبعد عرض قضايا نقد الشيخ دحلان للإمام محمد بن عبد الوهاب نعرض لقضيتي التوحيد والنبوة والاستغاثة برسول الله (ﷺ) عند الوهابية ونقد الإمام دحلان لهما.

سادسًا : مفهوم التوحيد عند الوهابية ونقد دحلان له

التوحيد هو شهادة المؤمن يقينًا أن الله تعالى هو الأول في كل شيء، وأقرب من كل شيء، وهو المعطي والمانع، لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع إلا هو، والتوحيد في اصطلاح المتكلمين هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا، على الحد الذي يستحقه والإقرار به، فلا بد من اعتبار شرطيّ العلم والإقرار؛ لأن العبد لو علم ولم يقر، أو أقر ولم يعلم لم يكن موحدًا"[٦]. وهو عند الصوفية إفراد الموحد

---

(١) سورة الزمر، آية : ٣
(٢) سورة الزخرف، آية : ٨٧
(٣) سورة الزخرف، آية : ٩
(٤) أحمد بن زيني دحلان : الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٧٦
(٥) المصدر نفسه، ص٧٧
(٦) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، ص١٢٨ والتوحيد في اللغة مصدر وحد بتشديد الحاء، نقول وحدت الله اعتقدته واحدًا منفردًا بذاته وصفاته وأفعاله بلا نظير ولا شبيه، وأنه المنفرد بالإيمان والتدبير والخلق" ابن منظور: مادة وحد، لسان العرب، ج٦، ص٤٨٧ أيضًا: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة وحد، ج٦، ص٩٠ وهو عند الجرجاني:"تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الإفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان"، الجرجاني: التعريفات، تحقيق د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٤٤

بتحقيق وحدانيته بكمال أحاديته، إنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه، بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل[١]. من هذا يتبين أن التوحيد هو الاعتقاد بوحدانية الله عز وجل، والتوجه إليه وحده بالعبادة، ونفي المثل عنه، وإفراده تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وإذا كان التوحيد هو إيمان العبد بأن الله تعالى هو الواحد المنفرد بالخلق والتدبير، فما تصور الوهابية للتوحيد وموقف الشيخ دحلان النقدي من هذا التصور؟

بداية يمكن القول إن الشيخ دحلان يفرق بين نوعين من التوحيد[*] ذهبت إليهما الوهابية:

توحيد الربوبية وهو عنده "اعتقاد أن الله سبحانه منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري في شيء من ذلك، فقد أشرك"[٢]، أي أنه يعني إفراد الله في الخلق والملك والتدبير، وهذا المعنى هو ما عبر عنه ابن القيم[*] بقوله: "أما توحيد الرسل فهو إثبات صفات الكمال له سبحانه، وإثبات كونه فاعلًا بمشيئته وقدرته واختياره، وأن له فعلًا حقيقة، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد ويخاف ويرجى ويتوكل عليه"[٣]، ويرى ابن القيم أن توحيد الله في الربوبية:" هو أن يشهد العبد أن الله تعالى رب كل

---

(١) عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية بشرح زكريا الأنصاري، مطبعة صبيح، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٩٧.

(*) ولد ابن القيم في السابع من صفر سنة إحدي وتسعين وستمائة من الهجرة في دمشق، وعرف بابن القيم الجوزية، ذلك لأن والده كان قيمًا على مدرسة في الجوزية بدمشق، ولقد تتلمذ على يد ابن تيمية، وكان له أثر واضح في ثقافة ابن القيم وتكوين مذهبه، وقيل إنه التقى به عام ٧١٢هـ، وقد أعتقل معه وأهين، وطيف به على جمل مضروبًا بالدرة" الشوكاني: البدر الطالع، دار الكتب العلمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ج٢، ص٥٩، وأكد هذا القول ابن رجب الحنبلي حينما قال عنه: "لقد أوذي كثيرًا وحبس مع الشيخ تقي الدين بن تيمية في القلعة ومنفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد وفاته" انظر ابن رجب الحنبلي: طبقات الحنابلة، تصحيح محمد حامد الفقي، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص٤٤٧، فهو الذي هذب كتب ابن تيمية فيما يذهب ابن حجر العسقلاني، ونشر علمه، وكان ينتصر له في معظم أقواله . انظر ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت، ج٣، ص٤٠١، وابن القيم سلفي العقيدة، والسلف في رأيه هم أفضل الناس مذهبًا، وأهداهم طريقة، وهم خير أمة محمد، د. عوض الله حجازي: ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة،الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م، ص٧٥.

(٢) صالح بن محمد بن حمد الشتري: تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان، تحقيق محمد بن ناصر الشتري، دار الحبيب، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٦٦

(*)

(٣) ابن القيم: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ج٣، ص٣٣

شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي والمميت والنافع والضار المنفرد بالعبودية، الذي له الأمر كله، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وبيده الخير كله، والقادر على كل شيء"[١]، وهذا النوع من التوحيد قد أقره المشركون، فلقد ذهب المقريزي إلى: "أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الألوهية"[٢] وهذا النوع من التوحيد قد اعترف به المشركون من العرب[٣]، حيث دلت العديد من الآيات على أن المشركين لم يعارضوا توحيد الربوبية مثل قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[٥] وقوله تعالى :﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[٦] وهنا إقرار الربوبية، واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك، فقد أشرك، ومن قصر بالرسول(ﷺ) عن شيء من مرتبته، فقد عصى أو كفر، ومن بالغ في تعظيمه(ﷺ)، فقد أصاب الحق، وحافظ على جانب الربوبية[٧]، ذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئًا فقد وحده، ومن عبد من دونه شيئًا من الأشياء فهو مشرك به، حتى لو أقر بأن الله خالق كل شيء، وهو التوحيد في الأفعال الذي يزعم هؤلاء المتكلمون أنه يقر أن لا إله إلا هو، ويثبتون بما توهموه من دليل التمانع[*] وغيره، لكان مشركًا وهذا حال مشركي العرب"[١]، فقد أقروا بالربوبية، ومع

---

(١) ابن القيم: مدارج السالكين، تحقيق عبد الله عبد السميع، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م ، ج١، ص٣٣٦

(٢) المقريزي : تجريد التوحيد، ص١٣٨

(٣) ابن القيم : إغاثة اللهفان، ج٢، ص١٣٢

(٤) سورة الزخرف، آية : ٨٧

(٥) سورة الزخرف، آية : ٩

(٦) سورة المؤمنون، آية ٨٦،٨٧

(٧) أحمد بن زيني دحلان : الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص١٢

(*) دليل التمانع والتغالب دليل اعتمد عليه الأشاعرة في إثباتهم وحدانية الله عبر عنه الجويني بقوله: "إن الإله واحد، ويستحيل تقدير إلهين، والدليل عليه إنا لو قدرنا إلهين، وفرضنا الكلام في جسم، وقدرنا في أحدهما إرادة تحركه وفي الثاني إرادة تسكنه، فتتصدى لنا وجوه كلها مستحيلة، وذلك إنا لو فرضنا نفوذ إرادتهما ووقوع مراديهما، لأفضى ذلك إلى اجتماع الحركة والسكون في المحل الواحد، والدلالة منصوبة على اتحاد الوقت والمحل، ويستحيل أيضًا أن لا تنفذ إرادتهما، فإن ذلك يؤدي إلى خلو المحل القابل للحركة والسكون عنهما، ثم ما له إثبات إلهين عاجزين قاصرين عن تنفيذ المراد، ويستحيل أيضًا الحكم بنفوذ إرادة أحدهما دون الثاني، إذ=

ذلك قاتلهم النبي(ﷺ)لأنهم لم يوحدوا الله تعالى في الألوهية[٢]، قال تعالى: ﴿أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٣].

أما توحيد الألوهية، فهو المتمثل في شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فأول واجب على العباد أن يوحدوا الله عز وجل، ويشهدوا أن محمدًا رسول الله، وفي هذا يقول دحلان: "بعث الله الرسل لتعليم العباد، وتكميل أمر معاشهم ومعادهم، وشرع لهم شرائع، وفرض عليهم تكاليف، وأمر الناس بالاقتداء بهم"[٤]، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٥]. فهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله، وهذا هو الحق[٦]، ويجب أن تكون العبادة فيما يذهب ابن القيم هنا كالدعاء والخوف والرجاء والرغبة والتوكل والاستقامة والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادة باطنها وظاهرها لله سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٧]، وهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب، وترتب عليه الثواب والعقاب والشرائع كلها[٨].

=إن في ذلك تعجيز من لم تنفذ إرادته"، الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق د. يوسف موسى، على عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٠م، ص٣٥، وعبر عنه التوحيدي في إثباته الوحدانية لله بقوله: "إن هذا نجده ظاهر الصحة ؛ لأننا ما وجدنا ملكًا ثبت، ولا أمرًا تم، ولا عقدًا صح بشركة، وحتى قال عز ذكره:﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ سورة الأنبياء، آية :٢٢، وصار هذا المعنى أشرف دليل في توحيد الله، جل ثناؤه" التوحيدي ومسكويه: الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين، السيد أحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٥١م، مسألة رقم ١٩، ص٦٤، وانظر أيضًا التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج٢،ص١٥٥، ولقد ذهب ابن رشد إلى أن أوجه الضعف في هذا الدليل هو أنه كما يجوز في العقل أن يختلفا قياسًا على المريدين، يجوز أن يتفقا، وهو أليق بالآلهة من الخلاف، وإذا اتفقا على صناعة العالم، كانا مثل صانعين اتفقا على صنع مصنوع" انظر ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة، تحقيق د. محمود قاسم، الأنجلو المصرية، ١٩٥٥م، ص١٥٧، أيضًا د.عاطف العراقي: النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص٢٤١، ومذاهب فلاسفة المشرق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٩٩.

(١) ابن تيمية : بيان تلبيس الجهمية، ص٤٧٨

(٢) محمد بن عبد الوهاب : مجموع الرسائل، ج١، ص٣٦٧

(٣) سورة الزمر، آية : ٣

(٤) أحمد بن زيني دحلان: حاشية على عقيدة أهل السنة، ص٩ أيضًا الطحاوي : شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشئون الإنسانية، السعودية، ١٤١٨هـ، ج١، ص٤٥

(٥) سورة الأنبياء، آية : ٢٥

(٦) محمد بن عبد الوهاب : مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، ص١٤٥

(٧) سورة الأنعام، آية : ١٦٢ ١٦٣

(٨) ابن القيم : مدارج السالكين، ج٢، ص٥١٠

إذن التوحيد عند محمد بن عبد الوهاب ظهر على نوعين كما يذهب الزيني دحلان، توحيد الربوبية وهو الذي أقر به المشركون، وتوحيد الألوهية وهو الذي أقر به الموحدون، وهو الذي يدخلك في دين الإسلام، وقد أنكر ذلك دحلان وأنكر التفرقة بين مفهومي الربوبية والألوهية، وقال: "أما جعله التوحيد نوعين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فباطل، فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الله بعينه"[١]، لكن هناك نوع ثالث للتوحيد أشار إليه ابن القيم هو توحيد الأسماء والصفات، وهو الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص، ولهذا يذهب ابن القيم إلى أن التفرقة بين الذات والصفات في الوجود مستحيلة[٢]، فصفات الله تعالى داخلة في مسمى اسمه، فليس اسم الله والرب والإله لذات مجردة لا صفة لها ؛ لأن وجود هذه الصفات المجردة مستحيل، وإنما يفرضها الذهن، كما أن اسم الله والرب والإله أسماء لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال، كالعلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر، وسائر الكمال الذي يستحقه الله لذاته، فصفاته داخلة في مسمى اسمه[٣]، لذلك اعتبر ابن القيم أن تجريد الصفات عن الذات والذات عن الصفات، فرض خيال، وخيال ذهني لا حقيقة له، ولا يترتب عليه معرفة الله ولا الإيمان به.

سابعًا: نقد قول الوهابية بعدم الاستغاثة والتوسل والشفاعة بالرسول

لقد زعم محمد بن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه هو إخلاص التوحيد، والتبري من الشرك، وأن الناس كانوا على شرك منذ ستمائة سنة، وأنه جدد للناس دينهم، وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥] وقوله تعالى﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾[٦]، فقال محمد بن عبد الوهاب من استغاث بالنبي(ﷺ)، أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين،

---

(١) أحمد بن زيني دحلان: الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٦٨

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين، ج٢، ص٤٨٠

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨١

(٤) سورة الأحقاف، آية : ٥

(٥) سورة يونس، آية : ١٠٦

(٦) سورة الرعد، آية : ١٤

أو ناداه أو سأله الشفاعة، فإنه مثل هؤلاء المشركين، وجعل زيارة قبر النبي(ﷺ) وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك، وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في عبادة الأصنام﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ﴾[1] قال: فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئًا، بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[3] فما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ليقربونا إلى الله زلفى فهؤلاء مثلهم[4]، ويرى دحلان "أن هذا استدلال باطل فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة، وجعلوهم شركاء لله، بل إنهم يعتقدون أنهم عبيد الله مخلوقون، ولا يعتقدون أنهم مستحقون العبادة، وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات فكانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الألوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وإن كانوا يعتقدون أنها لا تخلق شيئًا، وأما المؤمنون فلا يعتقدون في الأنبياء والأولياء استحقاق العبادة والألوهية ولا يعظمونهم تعظيم الربوبية، بل يعتقدون أنهم عباد الله وأحباؤه الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم عباده، ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة[5]، فالمسلمون يعتقدون أن الخالق والضار والنافع المستحق للعبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه، وأن الأنبياء والأولياء لا يخلقون شيئًا ولا يملكون ضرًا ولا نفعًا، وإنما يرحم الله العباد ببركتهم، أما المشركون فيعتقدون استحقاق أصنامهم العبادة والألوهية وهو الذي أوقعهم في الشرك لا مجرد قولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ﴾[6]، لأنهم لما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تستحق العبادة، وهم يعتقدون استحقاقها العبادة، قالوا معتذرين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فكيف يجوز لابن عبد الوهاب ومن تبعه أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية الأصنام ؟ فجميع الآيات المتقدمة وما كان مثلها خاص بالكفار والمشركين ولا يدخل فيه أحد من المؤمنين[7].

ويستشهد دحلان بما روي عن الشفاعة والاستغاثة بما روي عن الرسول(ﷺ) منها ما روي عن الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي(ﷺ) في وصف

---

(١) سورة الزمر، آية : ٣
(٢) سورة الزخرف، آية : ٨٧
(٣) سورة الزخرف، آية : ٩
(٤) أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرم، ص٢١
(٥) المصدر نفسه، ص٢٢
(٦) سورة الزمر، آية : ٣
(٧) أحمد بن زيني دحلان : الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٦٨

الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين، وفي رواية عن ابن عمر أيضًا أنه (ﷺ) قال: "أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه"، فهو وما قبله صادق على هذه الطائفة، ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل وغيره شركًا ما كان يصدر من النبي(ﷺ) وأصحابه وسلف الأمة وخلفها، ففي الأحاديث الصحيحة أنه(ﷺ) كان من دعائه: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك"، وهذا توسل لاشك، فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه ويأمرهم بالإتيان به، وصح عنه أنه(ﷺ) لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنها ألحدها(ﷺ) في القبر بيده الشريفة، وقال"اللهم اغفر لأمي فاطمة، بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي إنك أرحم الراحمين" وصح أنه(ﷺ) سأله أعمى أن يرد الله بصره بدعائه فأمره بالطهارة وصلاة ركعتين ثم يقول: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في" ففعل فرد الله عليه بصره، وصح أن آدم عليه السلام توسل بنبينا(ﷺ) حين أكل من الشجرة لأنه لما رأى اسمه(ﷺ) مكتوبًا على العرش، وعلى غرف الجنة، وعلى جباه الملائكة سأل عنه، فقال الله له هذا ولد من أولادك، فقال: اللهم بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودي يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السماء والأرض لشفعناك، وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنه لما استسقى الناس، وغير ذلك مما هو مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بذكره، ومن تتبع كلام الصحابة والتابعين يجد شيئا كثيرًا من ذلك، كقول بلال بن الحارث الصحابي رضي الله عنه عند قبر النبي(ﷺ) "يا رسول الله استسق لأمتك"، كالنداء الوارد عن النبي(ﷺ)عند زيارة القبور"[1].

كما انتقد الشيخ دحلان الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمنعه زيارة قبر النبي(ﷺ)، فيرى أن "زيارة قبر النبي(ﷺ) قد فعلها الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف والخلف، وجاء في فضلها أحاديث أفردت بالتأليف ومما جاء في النداء لغير الله تعالى من غائب وميت وجماد قوله(ﷺ): "إذا أفلتت دابة أحدكم بأرض، فليناد يا عباد الله احبسوا، فإن لله عبادًا يجيبونه" وفي حديث آخر: "إذا أضل أحدكم شيئًا أو أراد عونًا وهو بأرض ليس فيها أنيس، فليقل يا عباد الله أعينوني، وفي رواية أغيثوني، فإن لله عبادا لا ترونهم" وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال: يا أرض ربي وربك الله، وكان(ﷺ) إذا زار قال: السلام عليكم يا أهل القبور، وفي التشهد الذي يأتي به كل مسلم في كل صلاة صورة النداء في قوله "السلام عليك أيها النبي"، والحاصل أن النداء والتوسل ليس في شيء منهما ضرر إلا إذا

---

(١) المصدر نفسه، ص٧١

اعتقد التأثير لمن ناداه أو توسل به، ومتى كان معتقدًا أن التأثير لله لا لغير الله فلا ضرر في ذلك، وكذلك إسناد فعل من الأفعال لغير الله لا يضر، إلا إذا اعتقد التأثير، ومتى لم يعتقد التأثير فإنه يحمل على المجاز العقلي كقوله: نفعني هذا الدواء، فهو مثل قوله: أشبعني هذا الطعام، وأرواني هذا الماء، وشفاني هذا الدواء، فمتى صدر ذلك من مسلم، فإنه يحمل على الإسناد المجازي، والإسلام قرينة كافية في ذلك فلا سبيل إلى تكفير أحد بشيء من ذلك"[١].

كما يرى الإمام دحلان: "أن الرسل يستحيل عليهم الكذب والخيانة وكتمان شيء مما أمروا تبليغه والبلادة، فوجبت لهم هذه الصفات، واستحال عليهم أضدادها ؛ لأن الله بعثهم لتعليم العباد، وتكميل أمره، ويجوز في حقهم جميع الأعراض البشرية التي ليس فيها أي نقص من مراتبهم العالية، ولا تؤدي إلى صد وتنفير عن سماع الرسالة"[٢]، إنما وجبت لهم الفطانة واستحالت عليهم البلادة؛ لأن التلقي لا يكون عن الله وتبليغ العباد إلا ممن كان زاده فطانة وكمال في العقل، وأما البليد فإنه لا يمكن من ذلك، فيجب علينا أن نعتقد أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أكمل الناس عقلًا وعلمًا، بعثهم الله وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرات، فبلغوا أمره ونهيه ووعده، ووجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به، وأن الله بعث النبي(ﷺ) برسالته إلى كافة العرب والعجم والإنس والجن والملائكة بل وسائر المخلوقات، فنسج بشريعته الشرائع وفضله على سائر الأنبياء، وجعله سيد الخلق، ومنحه صحة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم يقترن بها الشاهدة له بقول الناطق محمدًا رسول الله، وألزم الخلق تصديقه في كل ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة، أن لا يقبل من أحد الإيمان حتى يؤمن بجميع ما جاء به، ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما هو من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العليا، وذلك كالأكل والشرب والجماع والمرض الخفيف كالحمى"[٣] ولا يجوز أن يتصفوا بشيء منفر للخلق كالحرفة الدنيئة والبرص والجذام، لأنهم لو اتصفوا بشيء من ذلك لتباعد الخلق منهم ؛ لأن طباع الخلق تنفر عن هذه الأشياء، فلا يصح أن يتصف بشيء منها، ولو كان أحد من أمهاتهم متصفًا بشيء من الزنا، فإن تلك الدنائة تلحق بهم وتقتضي نفرة الخلق عنهم، وذلك منافٍ لحكمة الإرسال، وكذلك لا يجوز أن يتصفوا بدناءة أنسابهم ؛ لأن ذلك منفر للخلق، فما أرسل الله رسولًا إلا وهو أشرف قومه، ولا تجوز عليهم المعاصي صغائرها وكبائرها، عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها ؛ لأن الوقوع في شيء من المعاصي خيانة، وهم معصومون[٤].

---

(١) أحمد بن زيني دحلان : الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٦٨

(٢) الزيني دحلان : حاشية على عقيدة أهل السنة، ص٩

(٣) المصدر نفسه، ص١٠

(٤) الزيني دحلان : حاشية على عقيدة أهل السنة، ص١٠

ويصح عند الزيني دحلان التوسل بالنبي(ﷺ) قبل وجوده وفي حياته وبعد مماته، كما يصح التوسل بغيره من الأخيار، كما فعل عمر حين استسقى بالعباس رضي الله عنهما دون غيره من الصحابة، ليظهر شرف آل البيت ؛ لأننا معشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرًا ولا نفعًا ولا ضرًا إلا لله تعالى وحده، لا شريك له ولا نعتقد تأثيرًا ولا نفعًا ولا ضرًا للنبي(ﷺ) ولا لغيره من الأحياء ولا الأموات، فلا فرق بين التوسل بالنبي(ﷺ) وغيره من الأنبياء، وكذلك الأولياء والصالحين، لا فرق بين كونهم أحياء أو أموات ؛ لأنهم لا يخلقون شيئًا وليس لهم تأثير في شيء، وإنما يتبرك بهم لله ؛ لأنهم أحباء الله تعالى، أما الخلق والإيجاد والإعدام والنفع والضر فإنه لله تعالى[١]، وقد صح صدور التوسل من الرسول(ﷺ) وأصحابه وسلف الأمة، أما صدوره من رسول الله(ﷺ) فقد صح في أحاديث كثيرة منها: أن رسول الله(ﷺ) كان من دعائه "اللهم إني اسألك بحق السائلين عليك" وهذا توسل لاشك فيه[٢]، والرسول(ﷺ) كان يقول بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، قال العلامة بن حجر في الجوهر المنظم رواه الطبراني بسند صحيح[٣]، كذلك حديث الرجل الضرير الذي أتى النبي(ﷺ) فقال: "أأدعو الله أن يعافيني؟، فقال(ﷺ): إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوئه، ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى، اللهم شفعه في" فعاد وقد أبصر"[٤].

كما يبين الزيني دحلان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، فإن عليا رضي الله عنه كان موجودًا وهو أفضل من العباس[٥].

وينتقد الشيخ دحلان الشبه التي تمسك بها المنكرون للتوسل في قوله تعالى:﴿ لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[٦]، ويرى أن هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقا، ولا يقتضي منع الطلب من موحد، فإنه يحمل على المجاز العقلي إذا صدر من موحد، فلا وجه لكونه شركًا ولا لكونه محرمًا[٧]، والاستغاثة معناها طلب الغوث

---

(١) الزيني دحلان : الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٢٥
(٢) المصدر نفسه، ص١٤
(٣) المصدر نفسه، ص١٦
(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الحاجة ١٣٥٨، أيضًا البخاري: التاريخ الكبير، ج٢، ص٢٠٩
(٥) الزيني دحلان : الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٢٤
(٦) سورة النور، آية : ٦٣
(٧) الزيني دحلان : الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٢٤

والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه، فالتوجه والاستغاثة به(ﷺ) وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين إلا طلب الغوث حقيقة من الله تعالى ومجازًا بالتسبب العادي من غيره، ولا يقصد أحد من المسلمين غير ذلك المعنى[١]، فالنبي(ﷺ) عند الشيخ دحلان واسطة بينه وبين المستغيث، فالله سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة، والغوث منه بالخلق والإيجاد، والنبي (ﷺ) مستغاث به مجازًا، والغوث منه بالكسب والتسبب العادي، باعتبار توجهه وتشفعه عند الله لعلو منزلته وقدره[٢]، كما أن الاستغاثة والتوسل والتشفع كلها بمعنى واحد وليس لها في قلب المؤمن معنى إلا التبرك بذكر أحباء الله تعالى لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم، سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى، وذكر هؤلاء الأخيار سبب عادي في ذلك التأثير، وذلك مثل الكسب العادي فإنه لا تأثير له[٣].

وتجب الإشارة إلى أن موقف الشيخ دحلان ينطلق من الاتجاه الأشعري الذي تبناه حيث إننا نجد الأشاعرة يبطلون التولد الذي قال به المعتزلة ؛ لأن جميع الممكنات تستند إلى الله تعالى، فلقد ذهب الباقلاني إلى أن الأفعال المتولدة التي ينسبها المعتزلة إلى الإنسان مثل الألم الحادث عند الضرب، والكسر عند الزج، وذهاب الحجر عند الدفع إلى غير ذلك من الحوادث الموجودة عند وجود حوادث أخرى، هذه كلها مما ينفرد الله تعالى بخلقها، وليست بكسب العباد بل إن الخالق لجميع الأفعال هو الله، لأنه وحده العالم بحقائقها والقاصد إلى إيجادها[٤]. ولقد لجأ الباقلانى إلى تأويل الآيات القرآنية التى يؤيد بها وجهة نظره منها قوله تعالى: ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٦]، فلقد ذهب إلى أن الله تعالى قد حكم بشرك من أدعى أنه يخلق كخلقه ومن أثبت ذلك لأحد من خلقه، فلو كان العباد يخلقون كلامهم وحركاتهم وسكونهم وإرادتهم وعلومهم، وهذه الأجناس أجمع كخلقه ومن جنس ما يوجده، لكانوا قد خلقوا كخلقه، وصنعوا كصنعه، لتشابه على الخلق خلقه وخلقهم، تعالى عن ذلك"[٧]. ويستطرد البغدادي فيوضح أن جميع ما سمته المعتزلة متولد

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٨

(٢) المصدر نفسه، ص٣١

(٣) المصدر نفسه، ص٢٦

(٤) الباقلاني : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ص٢٨٩

(٥) سورة الرعد آية : ١٦

(٦) سورة الصافات آية : ٩٦

(٧) الباقلاني : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص٣٠٦

هو من فعل الله عز وجل، ولا يصح أن يكون الإنسان فاعلًا في غير محل قدرته، لأنه يجوز أن يمد الإنسان وتر قوسه ويرسل السهم من يده فلا يخلق الله تعالى في السهم ذهابًا"[١]، أما إمام الحرمين الجويني فلقد رأى أن التولد يجر على معتقده فضائح تأباها العقول، ويدرك فسادها بالبداهة، وذلك أن من رمى سهمًا ثم اخترمته المنية قبل اتصال السهم بالرمية، ثم اتصل بها وصادف حيًا ولم يزل الجرح ساريًا إلى الإفضاء إلى زهوق الروح في سنين وأعوام كل، ذلك بعد موت الرامي وقد رمت عظامه، ولا مزيد في الفساد على نسبة قتل إلى الميت، ويدلل إمام الحرمين كذلك على إبطال التولد بأن الفعل المتولد غير مقدور، ومعنى ذلك أنه غير مؤثر، وما وصفه المعتزلة بكونه متولدًا لا يخلو عن كونه مقدورًا، أو غير مقدور فإن كان مقدورًا كان ذلك باطلًا من وجهين:

أحدهما: إن السبب على أصولهم موجب للمسبب عند تقدير ارتفاع الموانع، فإذا كان المسبب واجبًا عند وجود السبب أو بعده، فينبغي أن يستقل بوجوبه ويستغنى عن تأثير القدرة فيه.

ثانيهما: إن المسبب لو كان مقدورًا لتصور وقوعه دون توسط السبب، والدليل عليه أنه لما وقع مقدورًا للباري تعالى إذا لم يتسبب العبد إليه، فإنه يقع مقدورًا له تعالى من غير افتقار إلى توسط سبب، فإذا بطل كون المتولد مقدورًا للعبد، وهذا يبطل مذهب كافة المعتزلة، فلا يبقى بعد ذلك إلا الحكم بكون المتولد غير مقدور، فإن قضي بذلك كان مصرحًا بأنه ليس فعلًا لفاعل السبب، فإن شرط الفعل كونه مقدورًا للفاعل، وإذا جاز ثبوت فعل لا فاعل له، جاز أيضًا المصير إلى أن ما نعلمه من جواهر العالم وأعراضه ليست فعلًا لله، ولكنها واقعة عن سبب مقدور موجب لما عداه، وذلك خروج عن الدين، وانسلال عن مذهب المسلمين"[٢].

ورأى الشيخ دحلان يلتقي مع مذهب الأشاعرة التي ترى "أن جميع العلل مردها إلى الله تعالى، وأن الله تعالى هو الفاعل على الحقيقة، وأن جميع العلل أو المخلوقات هي فاعلات بالمجاز لا بالحقيقة"[٣]، فكل ما في العالم فيما تذهب الأشاعرة من جسم وعرض في جسم من خلق الله، فكل ذلك فعل الله عز وجل بمعنى خلقه، وكل ذلك مضاف بنص

---

(١) البغدادي : كتاب أصول الدين، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١م، ص١٣٨

(٢) إمام الحرمين الجويني : الإرشاد إلى قواطع الأدلة، ص٢٣١

(٣) د.إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية " منهج وتطبيقه " دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م، ج١، ص١٤٣ أيضا : د. عاطف العراقي: تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية، ص ٥٦ أيضًا : حسام محي الدين الألوسي، فلسفة الكندي، دار الطليعة بيروت، ١٩٨٤م، ص٢٥٩
Al Fred L.lvry : Al kinde metaphysics, New york 1974, P:41

القرآن الكريم وبحكم اللغة إلى ما ظهرت منه من حي أو جماد[١]، فالله عند الأشاعرة وحده الفاعل على الحقيقة، وأن كل ما يصدر في الكون من فعله فهو يتصرف في ملكه على مقتضى مشيئته وعلمه، فلا ظلم ولا جور، في حين يري المعتزلة ؛ أن ما يصدر عن الله فعل واحد هو خير فقط، فالله لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد[٢].

وإذا قال المعتزلة بأن الدليل على أن الله غير خالق لأفعال العباد، أن منها الظلم والجور والفساد، فلو كان خالقًا لها، لكان خالق الظلم والجور ظالمًا جائرًا، وإذا كان ذلك غير جائز، فإن الصحيح هو القول بأن الله لا يخلق أفعال العباد، فإن الأشاعرة يردون على هذا الاعتراض بالتفرقة بين القديم تعالى وبين العبد الحادث، فالقديم تعالى يخلق الظلم والجور والسفه جورًا وظلمًا وسفهًا لغيره لا لنفسه ولا في نفسه، فالله تعالى غير مأخوذ بذلك، ولا مطالب بتركه، ولا مخالف بفعله أمر من يلزمه طاعته والانقياد له[٣]، وردّ الأشاعرة على المعتزلة مفاده القول بأن الأفعال كلها توجد بالقدرة فقط، أي بقضاء الله وقدره مع مقارنة الأفعال الاختيارية لقدرة حادثة، وهذه القدرة الحادثة لا تأثير لها مباشرة ولا تولدًا ؛ لأن فعل العبد مخلوق لله[٤] وما الإنسان إلا مكتسب للفعل الذي أحدثه الله على يدي هذا الإنسان، والكسب هو تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل المقدور المحدث من الله على الحقيقة، فالكسب كما يعرفه الباقلاني: "تصرف في الفعل بقدرة تقارنه في محله، فتجعله بخلاف صفة الضرورة .. وكل ذي حس سليم يفرق بين حركة يده على طريق الاختيار، وبين حركة الارتعاش، وبين اختيار المشي والإقبال والإدبار، وبين الجر والسحب والدفع، وهذه الصفة المعقولة للفعل حسًا هي معني كونه كسبًا"[٥]، والمكتسب عند الأشعري هو المقدور بالقدرة الحادثة والحاصل تحت القدرة الحادثة فإن الله تعالى أجري سنته بأن يخلق عقب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها الفعل الحادث إذا أراده العبد وتجرد له، وسمي هذا الفعل كسبًا، فيكون خلقًا من الله تعالى إبداعًا وإحداثًا، وكسبًا من العبد"[٦] ويقر الجويني بأن "العبد قادر على كسبه، وقدرته ثابتة عليه"[٧] فثبت من هذا أن الخالق لضروب الأفعال هو الله العالم

---

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٥م، ج٥، ص٥٩

(2) Seyyed Hossein Nasr: Oliver Leman: History of Islamic philosophy, part 1, London , New York 1996 . P: 165

(٣) الباقلاني : التمهيد، ص٣٠٨

(٤) السنوسي : المقدمة في أصول الدين، ص٥٩

(٥) الباقلاني : التمهيد، ص ٣٤٧

(٦) الشهر ستاني : الملل والنحل، ج١، ص١٣٤

(٧) الجويني : لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق د. فوقية حسين محمود، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٧م، ص١٠٧

بحقائقها والقاصد إلي إيجادها، أما الدليل الذي يستند إلي الشرع فقد اعتمد الباقلاني على تأويل الآيات القرآنية التي توافق وجهة نظره في الكسب ومن هذه الآيات قوله تعالي: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون﴾[١]، فأخبر أنه الخالق لعلمنا نفسه، وقوله تعالي: ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[٢]، والتقدير منه هو خلق الشئ وجعله علي مقدارٍ ما وإيقاعه بحسب قصده وإرادته[٣]، وقوله تعالي: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[٤] ويؤلها بقوله "وما رميت من حيث الخلق، إذ رميت من حيث الكسب، ولكن الله رمى من حيث الخلق والكسب، خلقه خلقًا لنفسه، كسبًا لعبده، فهو مخلوق لله تعالى من وجهين"[٥].

هذه هي فكرة الكسب عند الأشاعرة، وهي فكرة حاولوا من خلالها التوسط بين الجبرية القائلين بأن الله خالق أفعال الإنسان، والمعتزلة القائلين بأن الإنسان هو خالق أفعاله المباشرة والمتولدة، والتوسط عند الأشاعرة مؤداه أفعال الإنسان تعد خلقًا لله واكتسابًا للإنسان، أي أن الإنسان يريد الفعل ويسعى إليه والله يخلقه، أي أن الفعل للإنسان وعلي ضوء تفسير الأشاعرة له يعد مخلوقًا لله تعالى، وليس للإنسان دخل فيه، فالكسب هنا نوع من الجبر المقنع، فإذا كنا ننسب الإرادة الإنسانية والفعل الإنساني (المباشر والمتولد) إلي الله سبحانه وتعالى، فإن الإنسان هنا يعتبر مجبورًا علي هذه الإرادة وهذا الفعل، ومن ثم تنتفي عن هذه الإرادة وهذا الفعل التقييم الخلقي سواء بالخير أو بالشر.

كذلك احتلت مسألة الشفاعة مثار خلاف بين المعتزلة والأشاعرة ؛ فالمعتزلة تري فيما يقول القاضي عبد الجبار "أنه لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي(ﷺ) ثابتة للأمة، ولكن الخلاف في أنها تثبت لمن؟ فعند المعتزلة الشفاعة للتائبين من المؤمنين، وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة"[٦]، ويتفق المعتزلة مع بقية المسلمين في أن فائدة الشفاعة هي رفع مرتبة الشفيع والدلالة على منزلته من المشفوع"[٧]، أما أهل السنة فقد قالوا إن الشفاعة ثابتة حقا للرسول(ﷺ)، ويستحقها أهل الكبائر من المسلمين، استنادًا إلى قوله(ﷺ): "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[٨]، فالمراد من هذا الحديث عند المعتزلة هو شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي إذا تابوا"[٩].

---

(١) سورة الصافات آية : ٩٦
(٢) سورة سبأ، آية : ١٨
(٣) الباقلاني : التمهيد، ص٣٤٥
(٤) سورة الأنفال، آية : ١٧
(٥) الاسفراينى : التبصير في الدين، ص٩٦
(٦) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة، ص٤٦٥
(٧) المصدر نفسه، ص٤٦٤
(٨) الترمذي : سنن الترمذي، ج٤، ص٦٥١
(٩) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة، ص٤٦٥

وردًا على منكري الشفاعة يقول الأشعري:"إن هؤلاء المنكرين يقال لهم إن المسلمين قد أجمعوا على أن لرسول الله(ﷺ) شفاعة، فلمن هذه الشفاعة إذا؟ أهي للمذنبين المرتكبين الكبائر أم للمؤمنين المخلصين؟ فإن قالوا إنها لمذنبي الكبائر وافقوا، وإن قالوا للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها يقال لهم، فإذا كانوا موعودين بها، والله عز وجل لا يخلف وعده، فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز أن يدخلهم جناته؟ وما معنى قول هؤلاء الخصوم الذين استحقوها على الله واستوجبوها عليه؟ وإذا كان الله لا يظلم مثقال ذرة كتأخيرهم عن الجنة ظلمًا، وإنما يشفع الشفعاء إلى الله عز وجل في أن لا يظلم على مذاهب هؤلاء الخصوم تعالى الله عن افترائكم"[١]، فإن قالوا يشفع النبي(ﷺ) إلى الله عز وجل في أن يزيدهم من فضله لا في أن يدخلهم جناته، قيل لهم أليس وعدهم الله ذلك؟ فقال تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾[٢] والله عز وجل لا يخلف وعده هذا، فإن الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقابًا أن يوضع عنه عقابه، أو فيمن لم يعده شيئًا أن يتفضل به عليهم، فأما إذا كان الوعد بالتفضل سابقًا فلا وجه لهذا، فإن سئلوا عن قوله تعالى:﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[٣]، فالجواب عن ذلك إلا لمن ارتضى فهم يشفعون له، وقد روي عن شفاعة النبي(ﷺ) لأهل الكبائر، وروي عن النبي(ﷺ) أن المذنبين يخرجون من النار"[٤].

ولقد ذهب ابن حزم إلى "أن الشفاعة ثابتة بنص القرآن فقوله تعالى:﴿ لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[٥]، فأوجب عز وجل الشفاعة لمن اتخذ عند الرحمن عهدًا، ولا جدال حول إثبات الشفاعة، حتى الآيات القرآنية التي يستند إليها منكرو الشفاعة إنما تدل ثبوت تلك الشفاعة، فصح يقينًا أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل غير الشفاعة التي أثبتها سبحانه، فالشفاعة التي أبطلها هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[٦]، ولقد صح يقينًا أن الشفاعة التي أوجب الله لمن أذن له واتخذ عندهم عهدًا ورضي قوله: فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام"[٧]، هكذا فإن شفاعة رسول الله ثابتة في القرآن والسنة.

---

(١) الأشعري : الإبانة عن أصول الديانة، ص٦٩

(٢) سورة فاطر، آية : ٣٠

(٣) سورة الأنبياء، آية : ٢٨

(٤) الأشعري : الإبانة عن أصول الديانة، ص٧٠

(٥) سورة مريم، آية : ٨٧

(٦) سورة فاطر، آية : ٣٦

(٧) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، تحقيق عبد الرحمن خليفة، مطبعة صبيح، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ، ص٩٣

الخاتمة

ننتهي بعد البحث والدراسة للمنهج النقدي عند إمام الحرمين أحمد بن زيني دحلان إلى النتائج التالية :

أولاً: تعرضت الوهابية منذ ظهور حركتها للنقد من قبل كثير من علماء السنة، فكثرت المؤلفات والرسائل التي صنفت في نقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن هؤلاء الأعلام الذين انتقدوا الوهابية إمام الحرمين الشيخ أحمد بن زيني دحلان.

ثانيًا: تحمل كتابات الإمام دحلان في طياتها اتجاهات نقدية، وبالرغم من ذلك فإنه خصص كتابين حدد فيهما منهجه النقدي والموضوعات التي ينتقدها، وهما الدرر السنية في الرد على الوهّابية وينتقد فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورسالته في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، ولا شك أن نقد إمام الحرمين نابع من كونه رجل دين، فقد كان مفتيًا لمكة، وكان إمامًا للحرمين وأعتقد أن رأيه لا يخرج عن هذا الإطار.

ثالثًا: حدد الإمام دحلان منهجية النقد عنده وأصوله، بضرورة أن تكون هناك مرجعية تمكننا من الرجوع إليها عند الاختلاف، فإذا كانت المناظرة مثلًا بين حنفي وشافعي في مسألة فقهية، فإنهما يرجعان إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس، فمن أقام دليله منهما بواحد من هذه وعجز الآخر كانت الغلبة له، فإذا لم يكن لهما أصل يرجعان إليه عند الاختلاف يكون متفقا عليه عندهما، فإنه لا تمكن المناظرة بينهما.

رابعًا: سلطة النص الديني عند إمام الحرمين فوق كل سلطة، وهذا ما نراه واضحًا عند معالجته لأي قضية، فهو يستشهد بالنص الديني، لكي يؤكد توافقه مع ما وصل إليه من العقل، حيث يعد الكتاب والسنة أصلان يمكن الرجوع إليهما عند الاختلاف، ومع ذلك لا يترك الاجتهاد العقلي، ولكنه يضعه بعد الرجوع إلى النص.

خامسًا: وجه الإمام دحلان نقده إلى الشيعة الذين يكفرون أبي بكر وينكرون إمامته، ويرى أن إنكار صحبة أبي بكر رضي الله عنه كفر، وكذلك إنكار براءة عائشة رضي الله عنها، فمن أنكر براءتها فهو كافر، فلا يجوز التعرض لها بشيء يقتضي النقص منها، أما أحقية تقديم أبي بكر في الخلافة، فقد ثبت عن علي رضي الله عنه الاعتراف بحقبة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

سادسًا: وجه الإمام دحلان نقده لفكرة التقية عند الشيعة، ورأى أنه لابد أن نقيم الحجة والبرهان على إبطال التقية التي ينسبونها لعلي رضي الله عنه وهو بريء منها؛ لأن

نسبة التقية إليه يستلزم نسبة الذل والجبن له، فإن عليًا رضي الله عنه كان في قوة ومنعة بهم لو أراد الخلافة زمن الخلفاء الثلاثة قبله أو كان عنده نص، أو رأى أنه أحق منهم بها لنازعهم فيها، ولكنه عرف الحق في ذلك وانقاد له، ولم يترك ذلك تقية كما يقولون، ولو كان عنده نص لأظهره ولم يكتمه، ولما انقضت خلافتهم وجاء الحق ونازعه من ليس مثله حاربه وقاتله، ولم يترك ذلك تقية، ولو صحت نسبة التقية له لم يوثق بشيء من كلامه، فإن كل شيء يقوله أو يفعله يحتمل حينئذ أن يكون تقية، ويستلزم أيضًا تكذيب النبي في أحاديث كثيرة، وفي أن أمته لا تجتمع على ضلال، ويستلزم أيضا تكذيب القرآن وإبطال الشريعة والأحكام.

سابعًا: المسائل الغيبية عند إمام الحرمين من الأمور الواجب الإيمان بها والتسليم بما وردت عنها شرعًا دون الخوض في ماهيتها، وإن كان هناك من الشيعة أو غيرهم ممن أنكر تلك الغيبيات، وأخذوا يتأولون النصوص الشرعية وفق ما تمليه عليهم أهواؤهم وجاءوا بمفاهيم عن المبدأ والمعاد، والملائكة وغيرها من عقائد الإيمان بالغيب، فإنها تغاير تمامًا ما جاء به الإسلام، فلقد صاغ الشيعة كل ما يتعلق بالأخرويات صياغة عقلية، ورفضوا كل ما يذهب إليه أهل الظاهر من أن ما ورد به السمع من الأخبار عن الأمور الغيبية والإيمان بها، كما جاءت بأدلة قطعية من كتاب الله وسنة نبيه، ولا يوجد دليل عقلي يمنع وقوعها، بل تدخل في الأمور الجائزة عقلًا.

ثامنًا: نقد إمام الحرمين الإمام دحلان تصور محمد بن عبد الوهاب لمفهوم التوحيد والذي ذهب فيه إلى أن التوحيد ينقسم إلى نوعين: توحيد الربوبية، وهو الذي أقر به المشركون، وتوحيد الألوهية، وهو الذي أقر به الموحدون، وهو الذي يدخل المرء في دين الإسلام، وقد أنكر ذلك إمام الحرمين ؛ لأن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الله بعينه ؛ لأن اسم الله والرب أسماء لذات لها جميع صفات الكمال، كالعلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر، وسائر الكمال الذي يستحقه الله لذاته، فصفاته داخلة في مسمى اسمه، لذلك اعتبر أن تجريد الصفات عن الذات، والذات عن الصفات فرض خيال، وخيال ذهني لا حقيقة له، ولا يترتب عليه معرفة الله ولا الإيمان به.

تاسعًا: انتقد الشيخ دحلان الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمنعه زيارة قبر النبي(ﷺ)، فيرى أن زيارة قبر النبي(ﷺ) قد فعلها الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف

والخلف وجاء في فضلها أحاديث أفردت بالتأليف، كما يصح عند الزيني دحلان التوسل بالنبي(ﷺ) قبل وجوده وفي حياته وبعد مماته، ويصح أيضًا التوسل بغيره من الأخيار كما فعل عمر حين استسقى بالعباس رضي الله عنهما دون غيره من الصحابة، ليظهر شرف آل البيت ؛ لأننا أهل السنة لا نعتقد تأثيرًا ولا نفعًا ولا ضرًا إلا لله تعالى وحده، لا شريك له ولا نعتقد تأثيرًا ولا نفعًا ولا ضرًا للنبي(ﷺ) ولا لغيره من الأحياء ولا الأموات، فلا فرق بين التوسل بالنبي(ﷺ) وغيره من الأنبياء، وكذلك الأولياء والصالحين، لا فرق بين كونهم أحياء أو أموات ؛ لأنهم لا يخلقون شيئًا وليس لهم تأثير في شيء، وإنما يتبرك بهم لله ؛ لأنهم أحباء الله تعالى، أما الخلق والإيجاد والإعدام والنفع والضر فإنه لله تعالى.

المصادر والمراجع

أولاً: مؤلفات أحمد بن زيني دحلان

١- دحلان (أحمد بن زيني): شرح دحلان على الأجرومية، تحقيق كريم إبراهيم بن أحمد، مكتبة بن عباس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م

٢- ..... : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة الحسينية بمصر، ١٣٠٢هـ

٣- .....: السيرة النبوية والآثار المحمدية، دار إحياء التراث العربي، ٢مجلد الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٤- ..... : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، المطبعة الخيرية بمصر القاهرة، ١٣٠٥هـ، وطبعة الدار المتحدة للنشر، بيروت لبنان، ١٤٠١هـ ١٩٨١م

٥- .....: الدرر السنية في الرد على الوهابية، اعتنى بنشره د. جبريل حداد، دار غار حراء مكتبة الأحباب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

٦- .....: تنبيه الغافلين مختصر منهاج العابدين، الدار المصرية للكتاب، د.ت

٧- .....: خمس رسائل وتشمل(رسالة عن متن السمرقندية ورسالة في الاستعارات ورسالة متعلقة بحاء زيد ورسالة في النحو ورسالة مقولات العلم) طبعة دار إحياء الكتب العربية، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٩م

٨- .....: شرح متن الآجرمية في علم اللغة العربية، مؤسسة الكتب الثقافية، مصر، ١٩٩٥م وطبع أيضًا تحت مسمى الأزهار الزينية في شرح متن الألفية، المطبعة الأميرية، مكة، ١٣١٠هـ، وقام بتحقيقها كرم إبراهيم بن أحمد، مكتبة بن عباس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م

٩- .....: رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة والرد عليهم، مطبوع بمطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٠٤هـ.

١٠- .....: حاشية على عقيدة أهل السنة، مكتبة جامعة الرياض، السعودية، د.ت

ثانياً :المصادر والمراجع العربية

١١- ابن النعمان (المفيد ت٤١٣هـ) : أوائل المقالات في المذاهب المختارات، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م

١٢- ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم) : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية تحقيق د. محمد رشاد سالم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م
١٣- ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، تحقيق عبد الرحمن خليفة، مطبعة صبيح، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ
١٤- ابن فارس (أبو الحسن أحمد) : معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، المجلد الثالث، الطبعة الأولي،١٩٩١م.
١٥- ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ) : تفسير القرآن العظيم، جمعية إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العرفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ج٣
١٦- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) : لسان العرب، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٠٢هـ، مادة سلف، ج٣، ومادة عبد، ج.٤
١٧- أبو قحف (د.محمد محمود) : التصوف الإسلامي خصائصه ومذاهبه، دار الحضارة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م .
١٨- إخوان الصفا: الرسالة الجامعة، تحقيق د.جميل صليبا، مطبعة الجامعة السورية، د . ت، ج١
١٩- .....: الرسائل، تحقيق خير الدين الزركلي، المطبعة الأميرية بمصر، القاهرة ١٩٢٨م
٢٠- الأشعري (أبو الحسن) : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ج٢، ١٩٦٩م
٢١- الألوسي (حسام محي الدين) : فلسفة الكندي، دار الطليعة بيروت، ١٩٨٤م
٢٢- الباقلاني : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م
٢٣- البغدادي (الإمام عبد القاهر بن طاهر) : الفرق بين الفرق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٣م البيان، دمشق، الطبعة الثالثة،١٩٩٠م.
٢٤- .....: كتاب أصول الدين، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م
٢٥- البغوى : معالم التنزيل في التفسير، ج١، طبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٥هـ.
٢٦- التوحيدي (أبوحيان ومسكويه): الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين، السيد أحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٥١م، مسألة رقم ١٩

٢٧- التوحيدي (أبو حيان) : الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج٢
٢٨- التهانوي : مادة سلف، بكشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م
٢٩- الجرجاني (السيد الشريف) : التعريفات، تحقيق د.عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة ١٩٩١م .
٣٠- الجزار (د. أحمد محمود): الولاية بين الجيلاني وابن تيمية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩٠م
٣١- .....: قضايا وشخصيات صوفية، منشأة المعارف، الإسكندرية، طبعة ٢٠٠١م
٣٢- الجليند (محمد سيد) : منهج السلف بين التقليد والتجديد، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩٤م.
٣٣- ..... : من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة التقدم، القاهرة الطبعة الأولى، ١٩٨٥م
٣٤- الجوزية (ابن القيم): مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ج٣، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م
٣٥- .....: مدارج السالكين، ج١، تحقيق عبد الله عبد السميع، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٣٦- .....: أحكام أهل الذمة، ج١، تحقيق : يوسف بن أحمد البكري أبو براء، أحمد بن توفيق العاروري، مكتبة الرمادي للنشر – الدمام، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م
٣٧- الجويني(إمام الحرمين أبو المعالي): الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق د. يوسف موسى، على عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٠م
٣٨- .....: لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق د. فوقية حسين محمود، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٧م
٣٩- الحنبلي (ابن رجب) : فضل علم السلف على الخلف، تصحيح الشيخ إبراهيم حسن الإمبابي الشافعي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٤٧هـ
٤٠- .....: طبقات الحنابلة، تصحيح محمد حامد الفقي، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت

٤١- الزر كلى (خير الدين) : الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ج٥ ١٩٧٩م
٤٢- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو الملقب بجار الله) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٣، تحقيق يوسف الحمادي، مكتبة مصر القاهرة، د. ت
٤٣- السنوسي (رضا بن محمد صفي الدين) : دور علماء مكة المكرمة في خدمة السنة والسيرة النبوية، مجلد ١، د.ت.
٤٤- السيلي (د. سيد عبد العزيز) : العقيدة السلفية بين الإمام أحمد بن حنبل والإمام بن تيمية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
٤٥- الشتري (صالح بن محمد بن حمد) : تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان، تحقيق محمد بن ناصر الشتري، دار الحبيب، الرياض، ٢٠٠٠م
٤٦- الشطا (الشيخ السيد بكري) : نفحة الرحمن في مناقب الشيخ دحلان، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، د. ت
٤٧- الشوكاني (الإمام) : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج٢، دار الكتب العلمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م
٤٨- الشهرستاني (عبد الكريم) : الملل والنحل، ج١، تحقيق د. محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م.
٤٩- الطحاوي : شرح العقيدة الطحاوية، ج١، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشئون الإنسانية، السعودية، ١٤١٨هـ
٥٠- الطيبي (شمس الدين بن أحمد بن يعقوب) : رسالة الدستور دعوة المؤمنين للحضور، تحقيق مصطفي غالب، ضمن أربع رسائل إسماعيلية
٥١- العراقي (د. عاطف): النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م
٥٢- ..... : مذاهب فلاسفة المشرق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م
٥٣- العسقلاني (الحافظ بن حجر) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د . ت، ج١٢
٥٤- .....: الدرر الكامنة، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج٣ د .ت .

٥٥- الغزالي (أبو حامد) : منهاج العابدين، تحقيق د. خالد أحمد حسنين، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م
٥٦- .....: المستصفي من علم الأصول، دار الفكر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠م
٥٧- .....: فضائح الباطنية، تحقيق د.عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م
٥٨- الفيروز أبادي : مادة أول القاموس المحيط، ج٣، المطبعة المصرية، القاهرة ، ١٩٣٥م
٥٩- القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر): الجامع لأحكام القرآن، ج٤، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م
٦٠- القشيري (عبد الكريم بن هوازن): الرسالة القشيرية بشرح زكريا الأنصاري، مطبعة صبيح، القاهرة، ١٩٧٢م
٦١- الكتاني (عبد الحي الكتاني ت ١٣٨٢هـ): فهرس الفهارس والإثبات، مجلد٢، تحقيق إحسان عباس، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، د. ت
٦٢- الكيلاني (د. جمال الدين فالح) : الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، مؤسسة مصر، بغداد، ٢٠١١م
٦٣- المجليسي (الإمام) : بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ
٦٤- الميداني (عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الدمشقي المتوفى عام ١٢٣١هـ) : حلية البشر في علماء القرن الثالث عشر، ج١، تحقيق: حفيده محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
٦٥- بالي (د. مرفت عزت) : نماذج من مذاهب الفرق الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،١٩٩٠م
٦٦- بدوي (د. عبد الرحمن) : مذاهب الإسلاميين واختلاف المصليين، دار العلم للملايين، ج٢، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٧١م
٦٧- تركي (د. إبراهيم محمد): علم الكلام بين الدين والفلسفة، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م
٦٨- جولد تسهير (أجناس): العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة د. محمد يوسف موسى، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م

٦٩- حجازي (د. عوض الله) : ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م
٧٠- حسنين (د. محمد كامل) : طائفة الإسماعيلية تاريخها ونظمها وعقائدها، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٥٩م
٧١- صقر (د. إبراهيم محمد إبراهيم) : دراسات في علم الكلام، مكتبة دار العلم، القاهرة، ١٩٩٥م
٧٢- عبد الجبار (القاضي) : شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م
٧٣- عبد القادر (د. أحمد محمد) : عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٨٥م
٧٤- كحالة (عمر رضا) : في كتابه معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، د. ت
٧٥- كوربان (هنرى) : تاريخ الفلسفة الإسلامية من الينابيع حتى وفاة ابن رشد، ترجمة نصير مروة وحسن قبيس، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٦م
٧٦- مدكور (د.إبراهيم) : في الفلسفة الإسلامية " منهج وتطبيقه " ج١، دار المعارف، بمصر، ١٩٧٦م
٧٧- هاشم (د. أحمد عمر) : الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة والرد على منكريها، مطبعة مركز صالح، القاهرة، د. ت
٧٨- ياسين (د. إبراهيم) : مدخل إلى التصوف الإسلامي، مكتبة طنطا، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م .

ثالثًا : المراجع الأجنبية :

1- Al Fred L.lvry : Al kinde Metaphysics, New York ,1974 .
2- Sayyed Hossein Nasr: Oliver Leman: History of Islamic Philosophy, part 1, London , New York 1996
3- The Encyclopedia of Philosophy, volums5, Macmillan Reference USA,1996